كتاب المطالعة

للسنة الثالثة و الرابعة من المدارس الثانوية فى يوغوسلاويا

تأليف

الدكتور شاكر سيقيريج و محمد پاشيچ و محمد خانجيچ

طبع على نفقة إدارة الأوقاف بسراى بوسنه

فى مطبعة الحكومة بسراى بوسنه - ١٣٥٥ ه و ١٩٣٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

١

مُنَجِّمٌ وَ رَجُلٌ

سَأَلَ مُنَجِّمٌ رَجُلًا عَنْ طَالِعِهِ فَقَالَ: تَيْسٌ. قَالَ: لَيْسَ فِي ٱلسَّمَاءِ تَيْسٌ. قَالَ ٱلرَّجُلُ: كَانَ يَقُولُ ٱلْمُنَجِّمُونَ: ٱلطَّالِعُ فِي وِلَادَتِي جَدْيٌ وَ انَا صِرْتُ كَهْلًا فَلَا بُدَّ أَنْ يَصِيرَ طَالِعِي تَيْسًا.

٢

ٱلإِسْكَنْدَرُ وَ ٱلنِّسَاءُ

قَصَدَ ٱلْإِسْكَنْدَرُ مَوْضِعًا فَحَارَبَتْهُ ٱلنِّسَاءُ فَكَفَّ عَنْهُنَّ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا جَيْشٌ إِنْ غَلَبْنَاهُ مَا لَنَا مِنْ فَخْرٍ، وَ إِنْ كُنَّا مَغْلُوبِينَ فَذَلِكَ فَضِيحَةُ ٱلدَّهْرِ.

٣

أَعْرَابِيٌّ وَحَالُهُ

قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ قَالَ: لَا كَمَا يَرْضَى ٱللهُ تَعَالَى وَلَا ٱلشَّيْطَانُ وَلَا أَنَا. فَإِنَّ ٱللهَ تَعَالَى يَرْضَى أَنْ أَكُونَ عَابِدًا، وَٱلشَّيْطَانُ أَنْ أَكُونَ كَافِرًا، وَأَنَا أَرْضَى أَنْ أَكُونَ مَرْزُوقًا، وَلَسْتُ كَذَالِكَ.

٤

اَلنَّحوِيُّ وَٱلْمَلَّاحُ

رَكِبَ نَحْوِيٌّ سَفِينَةً فَقَالَ لِلْمَلَّاحِ : أَتَعْرِفُ ٱلنَّحْوَ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : ذَهَبَ نِصْفُ عُمْرِكَ . فَهَاجَتِ ٱلرِّيحُ وَٱضْطَرَبَتِ ٱلسَّفِينَةُ فَقَالَ ٱلْمَلَّاحُ : أَتَعْرِفُ ٱلسِّبَاحَةَ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : ذَهَبَ كُلُّ عُمْرِكَ .

٥

إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ وَٱلْغَنِيُّ

قَالَ رَجُلٌ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ : اُقْبَلْ مِنِّي هٰذِهِ ٱلْجُبَّةَ . قَالَ : إِنْ كُنْتَ غَنِيًّا قَبِلْتُهَا مِنْكَ . فَقَالَ : أَنَا غَنِيٌّ . قَالَ : كَمْ مَالُكَ؟ قَالَ : أَلْفَانِ . قَالَ : أَيَسُرُّكَ أَنْ يَكُونَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : أَنْتَ فَقِيرٌ لَا أَقْبَلُهَا مِنْكَ .

٦

اَللِّصُّ وَٱلْفَقِيرُ

دَخَلَ لِصٌّ عَلَى بَعْضِ ٱلْفُقَرَاءِ فَفَتَّشَ ٱلْبَيْتَ فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ شَيْئاً فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ قَالَ صَاحِبُ ٱلْبَيْتِ : إِذَا خَرَجْتَ فَأَغْلِقِ ٱلْبَابَ . قَالَ ٱللِّصُّ : مِنْ كَثْرَةِ مَا أَخَذْتُ مِنْ بَيْتِكَ تَسْتَخْدِمُنِي!

٧

اَللُّصُوصُ وَأَبُو بَكْرٍ ٱلرَّبَّانِيُّ

دَخَلَ ٱللُّصُوصُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ ٱلرَّبَّانِيِّ يَطْلُبُونَ شَيْأً. وَرَآهُمْ يَدُورُونَ فِي ٱلْبَيْتِ فَقَالَ: يَا فِتْيَانُ، هَذَا ٱلَّذِي تَطْلُبُونَهُ فِي ٱللَّيْلِ قَدْ طَلَبْنَاهُ فِي ٱلنَّارِ فَمَا وَجَدْنَاهُ، فَضَحِكُوا وَخَرَجُوا.

٨

سَيِّدُنَا عُمَرُ وَعَامِلُهُ

دَخَلَ عَامِلٌ عَلَى عُمَرَ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُ فَوَجَدَهُ مُسْتَلْقِيًا وَصِبْيَانُهُ يَلْعَبُونَ عَلَى بَطْنِهِ. فَأَنْكَرَ ذَلِكَ فَقَالَ عُمَرُ: كَيْفَ أَنْتَ مَعَ أَهْلِكَ؟ قَالَ: إِذَا دَخَلْتُ سَكَتَ ٱلنَّاطِقُ. فَقَالَ: ٱعْتَزِلْ فَإِنَّكَ لَا تَرْفُقُ بِأَهْلِكَ وَوَلَدِكَ فَكَيْفَ تَرْفُقُ بِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

٩

ضِيَافَةُ ٱلْهُدْهُدِ

قِيلَ إِنَّ ٱلْهُدْهُدَ قَالَ لِسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَكُونَ فِي ضِيَافَتِي. فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ: أَنَا وَحْدِي؟ فَقَالَ: لَا، بَلْ أَنْتَ وَٱلْعَسْكَرُ فِي جَزِيرَةِ كَذَا فِي يَوْمِ كَذَا. فَمَضَى

سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ إِلَى هُنَاكَ وَصَعِدَ ٱلْهُدْهُدُ إِلَى ٱلْجَوِّ وَصَادَ جَرَادَةً وَكَسَرَهَا وَرَمَى بِهَا فِي ٱلْبَحْرِ وَقَالَ: كُلُوا، فَمَنْ فَاتَهُ ٱللَّحْمُ لَمْ تَفُتْهُ ٱلْمَرَقَةُ. فَضَحِكَ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ. وَأَخَذَهُ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ فَقَالَ:

وَكُنْ قَنُوعًا فَقَدْ جَرَى مَثَلٌ . إِنْ فَاتَكَ ٱللَّحْمُ فَاشْرَبِ ٱلْمَرَقَةْ.

١٠

كِلَابٌ وَثَعْلَبٌ

أَصَابَ ٱلْكِلَابُ مَرَّةً جِلْدَ سَبُعٍ فَأَقْبَلُوا يَنْهَشُونَهُ، فَبَصُرَ بِهِمُ ٱلثَّعْلَبُ فَقَالَ لَهُمْ: أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَ حَيًّا لَرَأَيْتُمْ مَخَالِبَهُ كَأَنْيَابِكُمْ وَأَطْوَلَ.

(مَغْزَاهُ): ٱلنَّهْيُ عَنِ ٱلشَّمَاتَةِ بِٱلْمَوْتِ.

١١

ٱلْوَزُّ وَٱلْخُطَّافُ

ٱلْوَزُّ وَٱلْخُطَّافُ تَشَارَكَا فِي ٱلْمَعِيشَةِ فَكَانَ مَرْعَاهُمَا فِي مَحَلٍّ وَاحِدٍ. فَمَرَّ بِهِمَا ٱلصَّيَّادُونَ يَوْمًا. فَمَا كَانَ مِنَ ٱلْخُطَّافِ إِلَّا أَنْ طَارَ وَسَلِمَ. فَأَمَّا ٱلْوَزُّ فَأُدْرِكَ وَذُبِحَ.

(مَغْزَاهُ): مَنْ عَاشَرَ مَنْ لَا يُشَاكِلُهُ أَحَاقَ بِهِ ٱلسُّوءُ.

١٢

قطٌّ

دَخَلَ قِطٌّ مَرَّةً دُكَّانَ حَدَّادٍ فَأَصَابَ ٱلْمِبْرَدَ فَأَقْبَلَ يَلْحَسُهُ بِلِسَانِهِ وَٱلدَّمُ يَسِيلُ مِنْهُ وَهُوَ يَبْلَعُهُ وَيَظُنُّهُ مِنَ ٱلْمِبْرَدِ إِلَى أَنْ فَنِيَ لِسَانُهُ فَمَاتَ .

(مَغْزَاهُ) : ٱلْجَاهِلُ لَا يُفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ مَا دَامَ ٱلطَّمَعُ غَالِبًا عَلَيْهِ .

١٣

صَبِيٌّ وَعَقْرَبٌ

كَانَ صَبِيٌّ يَصِيدُ ٱلْجَرَادَ مَرَّةً فَنَظَرَ عَقْرَبًا فَظَنَّهَا جَرَادَةً ، فَمَدَّ يَدَهُ لِيَأْخُذَهَا ثُمَّ تَبَاعَدَ عَنْهَا . فَقَالَتْ لَهُ : لَوْ أَنَّكَ قَبَضْتَنِي بِيَدِكَ لَتَخَلَّيْتَ عَنْ صَيْدِ ٱلْجَرَادِ .

(مَغْزَاهُ) : أَنَّ سَبِيلَ ٱلْإِنْسَانِ أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ ٱلْخَيْرِ وَٱلشَّرِّ وَيُدَبِّرَ لِكُلِّ شَيْءٍ تَدْبِيرًا عَلَى حِدَتِهِ .

١٤

اَلنُّمُوسُ وَٱلدَّجَاجُ

بَلَغَ ٱلنُّمُوسَ أَنَّ ٱلدَّجَاجَ قَدْ مَرِضُوا ، فَلَبِسُوا جُلُودَ طَوَاوِيسَ وَأَتَوْا لِيَزُورُوهُمْ ، فَقَالُوا لَهُمْ : اَلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الدَّجَاجُ .

كَيْفَ أَنْتُمْ وَكَيْفَ أَحْوَالُكُمْ ؟ فَقَالُوا : إِنَّا بِخَيْرٍ يَوْمَ لاَ نَرَى وُجُوهَكُمْ .

(مَغْزَاهُ) : أَنَّ كَثِيرًا مِنَ ٱلنَّاسِ يُظْهِرُونَ ٱلْمَحَبَّةَ وَ يُبْطِنُونَ ٱلْبَغْضَاءَ .

١٥

إِنْسَانٌ وَٱلْمَوْتُ

حَمَلَ إِنْسَانٌ مَرَّةً جُرْزَةَ حَطَبٍ . فَثَقُلَتْ عَلَيْهِ . فَلَمَّا أَعْيَا وَضَجِرَ مِنْ حَمْلِهَا رَمَى بِهَا عَنْ كَتِفِهِ وَدَعَا عَلَى رُوحِهِ بِٱلْمَوْتِ . فَشَخَصَ لَهُ ٱلْمَوْتُ قَائِلًا : هَا أَنَاذَا . لِمَ دَعَوْتَنِي ؟ فَقَالَ لَهُ ٱلْإِنْسَانُ : دَعَوْتُكَ لِتُحَوِّلَ هَذِهِ ٱلْجُرْزَةَ مِنَ ٱلْحَطَبِ عَلَى كَتِفِي .

(مَغْزَاهُ) : أَنَّ ٱلْعَالَمَ بِأَسْرِهِ يُحِبُّ ٱلدُّنْيَا وَ إِنَّمَا يَمَلُّ مِنَ ٱلضُّعْفِ وَٱلشَّقَاءِ .

١٦

قِطَّتَانِ وَٱلْقِرْدُ

اِخْتَطَفَتْ قِطَّتَانِ جُبْنَةً وَذَهَبَتَا بِهَا إِلَى قِرْدٍ لِكَيْ يَقْسِمَهَا بَيْنَهُمَا . فَقَسَمَهَا إِلَى قِسْمَيْنِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ ٱلثَّانِي وَوَضَعَهُمَا فِي مِيزَانِهِ . فَرَجَحَ ٱلْأَكْبَرُ . فَأَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِأَسْنَانِهِ وَهُوَ يُظْهِرُ أَنَّهُ يُرِيدُ مُسَاوَاتَهُ بِٱلْأَصْغَرِ . وَلَكِنْ إِذْ كَانَ مَا أَخَذَهُ مِنْهُ هُوَ أَكْثَرَ مِنَ ٱللَّازِمِ رَجَحَ ٱلْأَصْغَرُ فَفَعَلَ بِهَذَا مَا فَعَلَهُ

بِذَالِكَ . ثُمَّ فَعَلَ بِذَالِكَ مَا فَعَلَهُ بِهَذَا . وَهَكَذَا حَتَّى كَادَ يَذْهَبُ بِٱلْجُبْنَةِ . فَقَالَتْ لَهُ ٱلْقِطَّتَانِ : نَحْنُ رَضِينَا بِهَذِهِ ٱلْقِسْمَةِ فَأَعْطِنَا ٱلْجُبْنَةَ . فَقَالَ : إِذَا كُنْتُمَا أَنْتُمَا رَضِيتُمَا فَإِنَّ ٱلْعَدْلَ لَا يَرْضَى . وَ مَا زَالَ يَقْضِمُ ٱلْقِسْمَ ٱلرَّاجِحَ مِنْهُمَا كَذَلِكَ حَتَّى أَتَى عَلَيْهِمَا جَمِيعًا . فَرَجَعَتِ ٱلْقِطَّتَانِ بِحُزْنٍ وَخَيْبَةٍ وَهُمَا تَقُولَانِ :

وَمَا مِنْ يَدٍ إِلَّا يَدُ ٱللهِ فَوْقَهَا . وَلَا ظَالِمٍ إِلَّا سَيُبْلَى بِأَظْلَمِ .

١٧

صَائِدٌ وَعُصْفُورٌ

كَانَ صَائِدٌ يَصِيدُ ٱلْعَصَافِيرَ فِي يَوْمٍ بَارِدٍ . فَكَانَ يَذْبَحُهَا وَٱلدُّمُوعُ تَسِيلُ . فَقَالَ عُصْفُورٌ لِصَاحِبِهِ : لَا بَأْسَ عَلَيْكَ مِنَ ٱلرَّجُلِ . أَمَا تَرَاهُ يَبْكِي ؟ فَقَالَ لَهُ ٱلْآخَرُ : لَا تَنْظُرْ دُمُوعَهُ وَٱنْظُرْ مَا تَصْنَعُ يَدَاهُ .

١٨

أَسْوَدُ

أَقْبَلَ أَسْوَدُ فِي فَصْلِ ٱلشِّتَاءِ يَأْخُذُ ٱلثَّلْجَ وَيَفْرُكُ بِهِ بَدَنَهُ . فَقِيلَ لَهُ : لِمَاذَا ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : لَعَلِّي أَبْيَضُّ . فَقَالَ لَهُ حَكِيمٌ : يَا هَذَا لَا تُتْعِبْ نَفْسَكَ فَرُبَّمَا ٱسْوَدَّ ٱلثَّلْجُ مِنْ جِسْمِكَ وَهُوَ بَاقٍ عَلَى حَالِهِ .

(مَعْنَاهُ) : أَنَّ ٱلشِّرِّيرَ يَقْدِرُ أَنْ يُفْسِدَ ٱلْخَيْرَ وَ قَلِيلًا مَا يُصْلِحُهُ ٱلْخَيْرُ .

١٩

ثَعْلَبٌ وَ طَبْلٌ

﴿ وَ هُوَ مَثَلُ مَنْ يَسْتَكْبِرُ ٱلشَّيْءَ حَتَّى يُجَرِّبَهُ فَيَسْتَصْغِرُهُ ﴾

زَعَمُوا أَنَّ ثَعْلَبًا أَتَى أَجَمَةً فِيهَا طَبْلٌ مُعَلَّقٌ عَلَى شَجَرَةٍ . وَ كُلَّمَا هَبَّتِ ٱلرِّيحُ عَلَى قُضْبَانِ ٱلشَّجَرَةِ حَرَّكَتْهَا فَضَرَبَتِ ٱلطَّبْلَ فَسُمِعَ لَهُ صَوْتٌ عَظِيمٌ . فَتَوَجَّهَ ٱلثَّعْلَبُ نَحْوَهُ لِمَا سَمِعَ مِنْ عَظِيمِ صَوْتِهِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ وَجَدَهُ ضَخْمًا فَأَيْقَنَ فِي نَفْسِهِ بِكَثْرَةِ ٱلشَّحْمِ وَٱللَّحْمِ فَعَالَجَهُ حَتَّى شَقَّهُ . فَلَمَّا رَآهُ أَجْوَفَ لَا شَيْءَ فِيهِ قَالَ : لَا أَدْرِي لَعَلَّ أَفْشَلَ ٱلْأَشْيَاءِ أَجْهَرُهَا صَوْتًا وَ أَعْظَمُهَا جُثَّةً .

٢٠

أَسَدٌ وَ ثَعْلَبٌ وَ ذِئْبٌ

﴿ وَ هُوَ مَثَلُ مَنِ ٱتَّعَظَ بِغَيْرِهِ وَ ٱعْتَبَرَ بِهِ ﴾

اِصْطَحَبَ أَسَدٌ وَ ثَعْلَبٌ وَ ذِئْبٌ . فَخَرَجُوا يَتَصَيَّدُونَ . فَصَادُوا حِمَارًا وَ أَرْنَبًا وَ ظَبْيًا . فَقَالَ ٱلْأَسَدُ لِلذِّئْبِ ٱقْسِمْ بَيْنَنَا . فَقَالَ : ٱلْأَمْرُ بَيِّنٌ . ٱلْحِمَارُ لِلْأَسَدِ وَ ٱلْأَرْنَبُ لِلثَّعْلَبِ وَ ٱلظَّبْيُ لِي .

فَخَبطَهُ ٱلْأَسدُ فَأَطَارَ رَأْسهُ . ثُمَّ أَقبَلَ عَلى ٱلثَّعْلَبِ وَ قَالَ : مَا كَانَ أَجهَل صَاحِبَكَ بِٱلْقِسْمَةِ . هَاتِ أَنْتَ ! فَقَالَ : يَا أَبَا ٱلْحَارِثِ ! ٱلْأَمرُ وَاضِحٌ . ٱلْحِمَارُ لِغَدَائِكَ وَٱلظَّبيُ لِعَشَائِكَ وَ تَخَلَّلْ بِٱلْأَرْنَبِ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ ٱلْأَسدُ : مَا أَقْضَاكَ ! مَنْ عَلَّمَكَ هَذَا ٱلْفِقْه؟ فَقَالَ : رَأْسُ ٱلذِّئْبِ ٱلطَّائِرُ مِنْ جُثَّتِهِ .

٢١

مَثَلُ فَارَةِ ٱلْبَيْتِ وَفَارَةِ ٱلصَّحْرَاء

قِيلَ : إِنَّ فَارَةَ ٱلْبُيُوتِ رَأَتْ فَارَةَ ٱلصَّحْرَاء فِى شِدَّةٍ وَمِحْنَةٍ . فَقَالَتْ لَهَا : مَا تَصْنَعِينَ هَهُنَا ؟ ٱذْهَبِي إِلَى ٱلْبُيُوتِ ٱلَّتِى فِيهَا أَنْوَاعُ ٱلنَّعِيمِ وَ ٱلْخِصْبِ . فَذَهَبَتْ مَعَهَا . وَ إِذَا صَاحِبُ ٱلْبَيْتِ ٱلَّذِى كَانَتْ تَسْكُنُهُ قَدْ هَيَّأَ لَهَا ٱلرَّصدَ لَبِنَةً تَحْتَهَا شَحْمَةٌ . فَٱقْتَحَمَتْ لِتَأْخُذَ ٱلشَّحْمَةَ فَوقَعَتْ عَلَيْهَا ٱللَّبِنَةُ فَحَطَّمَتْهَا . فَهَرَبَتِ ٱلْفَارَةُ ٱلْبَرِّيَّةُ وَ هَزَّتْ رَأْسَهَا مُتَعَجِّبَةً وَ قَالَتْ : أَرَى نِعْمَةً كَثِيرَةً وَ بَلَاءً شَدِيدًا . أَلَا إِنَّ ٱلْعَافِيَةَ وَ ٱلْفَقْرَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ غِنًى يَكُونُ فِيهِ ٱلْمَوْتُ . ثُمَّ فَرَّتْ إِلَى ٱلْبَرِّيَّةِ .

٢٢

خُنْفُسَةٌ وَ نَحْلَةٌ

قَالَتْ خُنْفُسَةٌ مَرَّةً لِنَحْلَةٍ : لَوْ أَخَذْتِنِي مَعَكِ لَعَسَّلْتُ مِثْلَكِ وَ أَكْثَرَ . فَأَجَابَتْهَا ٱلنَّحْلَةُ إِلَى ذَلِكَ . فَلَمَّا لَمْ تَقْدِرْ عَلَى وَفَاء مَا

قَالَتْ ضَرَبَتْهَا ٱلنَّحْلَةُ بِحُمَتِهَا . وَ فِيمَا هِيَ تَمُوتُ قَالَتْ فِي نَفْسِهَا : لَقَدِ ٱسْتَوْجَبْتُ مَا نَالَنِي مِنَ ٱلسُّوءِ . فَإِنِّي لاَ أُحْسِنُ ٱلزِّفْتَ فَكَيْفَ بِٱلْعَسَلِ .

(مَغْزَاهُ) : أَنَّ أُنَاسًا كَثِيرِينَ يَدَّعُونَ مَا لاَ يَنْبَغِي لَهُمْ فَتَنْفَضِحُ عَاقِبَتُهُمْ .

٢٣

مَثَلُ ٱلْخِنْزِيرِ وَٱلْأَتَانِ

كَانَ عِنْدَ رُومِيٍّ خِنْزِيرٌ فَرَبَطَهُ إِلَى أُسْطُوَانَةٍ وَ وَضَعَ ٱلْعَلَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ لِيُسَمِّنَهُ . وَكَانَ بِجَنْبِهِ أَتَانٌ لَهَا جَحْشٌ . وَكَانَ ذَلِكَ ٱلْجَحْشُ يَلْتَقِطُ مِنَ ٱلْعَلَفِ مَا يَتَنَاثَرُ . فَقَالَ لِأُمِّهِ : يَا أُمَّاهُ! مَا أَطْيَبَ هَذَا ٱلْعَلَفَ لَوْدَامَ . فَقَالَتْ لَهُ : يَا بُنَيَّ لاَ تَقْرَبْهُ فَإِنَّ وَرَاءَهُ ٱلطَّامَّةَ ٱلْكُبْرَى . فَلَمَّا أَرَادَ ٱلرُّومِيُّ أَنْ يَذْبَحَ ٱلْخِنْزِيرَ وَ وَضَعَ ٱلسِّكِّينَ عَلَى حَلْقِهِ جَعَلَ يَضْطَرِبُ وَ يَنْفُخُ . فَهَرَبَ ٱلْجَحْشُ وَأَتَى إِلَى أُمِّهِ وَ أَخْرَجَ لَهَا أَسْنَانَهُ وَ قَالَ : وَيْحَكِ يَا أُمَّاهُ ٱنْظُرِي هَلْ بَقِيَ فِي خِلاَلِ أَسْنَانِي شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ ٱلْعَلَفِ فَٱقْلَعِيهِ . فَمَا أَحْسَنَ ٱلْقَنَعَ مَعَ ٱلسَّلاَمَةِ !

٢٤

كَلْبٌ وَشوْحَةٌ

خَطَفَ كَلْبٌ مَرَّةً بُضْعَةَ لَحمٍ مِنَ ٱلْمَسْلَخِ وَ نَزَلَ يَخوُضُ فِى ٱلنَّهْرِ. فَنظَرَ ظِلَّهَا فى ٱلْمَاءِ وَ إِذَا هِىَ أَكْبَرُ مِنَ ٱلَّتِى مَعهُ. فَرَمى ٱلَّتِى مَعَهُ فَٱنْحدَرَتْ شوْحَةٌ فَأَخَذَتْهَا. وَ جَعَلَ ٱلْكَلْبُ يَجرِى فى طَلَبِ الْكَبِيرَةِ فَلَمْ يَجِدْ شَيْأً. فَرَجَعَ فى طَلَبِ ٱلَّتِى كَانَتْ مَعَهُ فَلَمْ يُصِبْهَا. فَقَالَ: وَيْحِى، أَنَا ٱلَّذِى أَلْقَيْتُ نَفْسِى فِى ٱلْغُرُورِ. لِأَنِّى ضَيَّعْتُ مَا كَانَ تَحْتَ يَدِى. وَسَعَيْتُ فى طَلَبِ مَا لَيْسَ هُوَ تَحْتَ يَدِى وَ لَا يَصْلُحُ لِى:

(مَغْزَاهُ): لَا يَنْبَغِى لِلْاِنْسَانِ أَنْ يَتْرُكَ شَيْأً قَلِيلًا مَوْجُودًا وَ يَطْلُبَ شَيْأً كَثِيرًا مَفْقُودًا.

٢٥

أَرَانِبُ وَ ثَعَالِبُ

اَلنُّسُورُ مَرَّةً وَقَعَتْ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ ٱلْأَرَانِبِ حَرْبٌ. فَمَضَتِ ٱلْأَرَانِبُ إِلَى ٱلثَّعَالِبِ يَسُومُونَ مِنْهُمُ ٱلْحِلْفَ وَٱلْمُعَاضَدَةَ عَلَى ٱلنُّسُورِ. فَقَالُوا لَهُمْ: لَوْلَا أَنْ عَرَفْنَاكُمْ وَ لَوْ لَا أَنَّنَا نَعْلَمُ لِمَنْ تُحَارِبُونَ لَفَعَلْنَا ذَلِكَ.

(مَعْنَاهُ): أَنَّ سَبِيلَ ٱلْاِنْسَانِ أَلَّا يُحَارِبَ مَنْ هُوَ أَشَدُّ بَأْسًا مِنْهُ.

٢٦

غزالٌ وثعلبٌ

عَطِشَ غزالٌ مرةً فجاءَ إلى عَيْنِ ماءٍ يَشْرَبُ وكانَ ٱلماءُ فى جُبٍّ عَمِيقٍ. فنزلَ وشربَ ثُمَّ إنَّهُ حاولَ ٱلطُّلوعَ فلَمْ يَقْدِرْ فنظرَهُ ٱلثَّعْلَبُ فقالَ لَهُ: يا أَخِى أَسأْتَ فى فِعْلِكَ إذْ لَمْ تُمَيِّزْ طُلُوعَكَ قَبْلَ نُزُولِكَ.

٢٧

أَسدٌ وثَوْرٌ

أَرادَ أَسدٌ مرَّةً أَنْ يَفْتَرِسَ ثَوْرًا فلَمْ يَجسُرْ عليهِ لِشِدَّتِهِ. فمضَى إليهِ مُتملِّقًا قائِلًا: قَدْ ذَبَحتُ خرُوفًا سَمِينًا وأَشْتَهِى أَنْ تأْكُلَ عِنْدِى هذهِ ٱللَّيْلَةَ مِنْهُ. فأَجابَهُ ٱلثَّوْرُ إلى ذَلِكَ. فلمَّا وَصلَ إلى ٱلعرينِ ونظرَهُ فإذا ٱلأَسدُ قَدْ أَعدَّ حطبًا كثيرًا وخلاقِينَ كِبارًا فولَّى هارِبًا. فقالَ لهُ ٱلأَسدُ: ما لَكَ ولَّيْتَ بعدَ مجيئِكَ إلى هُنا. فقالَ لهُ ٱلثَّورُ: لِأَنِّى عَلِمْتُ أَنَّ هذا ٱلاِسْتِعْدادَ لِما هُوَ أَكْبَرُ مِنَ ٱلخَرُوفِ.

(معناهُ): أَنَّهُ يَنْبَغِى لِلْعاقِلِ أَنْ لا يُصدِّقَ عدُوَّهُ.

٢٨

كَلْبَانِ

كَانَ مَرَّةً فى دَارِ أَصْحَابِ كَلْبٍ دَعْوَةٌ. فَخَرَجَ ٱلْكَلْبُ إِلَى ٱلسُّوقِ فَلَقِىَ كَلْبًا آخَرَ. فَقَالَ لَهُ: ٱعْلَمْ أَنَّ عِنْدَنَا ٱلْيَوْمَ دَعْوَةً. فَٱمْضِ بِنَا لِنَقْصُفَ ٱلْيَوْمَ جَمِيعًا فَمَضَى مَعَهُ. فَدَخَلَ بِهِ إِلَى ٱلْمَطْبَخِ. فَلَمَّا نَظَرَهُ ٱلْخُدَّامُ قَبَضَ أَحَدُهُمْ عَلَى ذَنَبِهِ وَرَمَى بِهِ مِنَ ٱلْحَائِطِ إِلَى خَارِجِ ٱلدَّارِ فَوَقَعَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ. فَلَمَّا أَفَاقَ ٱنْتَفَضَ مِنَ ٱلتُّرَابِ فَرَآهُ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا: أَيْنَ كُنْتَ ٱلْيَوْمَ؟ أَكُنْتَ تَقْصُفُ. فَإِنَّنَا نَرَاكَ مَا خَرَجْتَ ٱلْيَوْمَ تَدْرِى كَيْفَ ٱلطَّرِيقُ.

(مَعْنَاهُ): أَنَّ كَثِيرِينَ يَتَطَفَّلُونَ فَيَخْرُجُونَ مَطْرُودِينَ بَعْدَ ٱلِاسْتِخْفَافِ بِهِمْ وَٱلْهَوَانِ.

٢٩

نَاسِكٌ وَمُحْتَالُونَ

﴿ وَهُوَ مَثَلُ مَنْ صَدَّقَ ٱلْكَذُوبَ ٱلْمُحْتَالَ فَكَانَ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ ﴾

زَعَمُوا أَنَّ نَاسِكًا ٱشْتَرَى عِرْبِضًا ضَخْمًا لِيَجْعَلَهُ قُرْبَانًا. وَٱنْطَلَقَ بِهِ يَقُودُهُ. فَبَصُرَ بِهِ قَوْمٌ مِنَ ٱلْمَكَرَةِ فَٱئْتَمَرُوا بَيْنَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوهُ مِنْهُ. فَعَرَضَ لَهُ أَحَدُهُمْ فَقَالَ: مَا هٰذَا ٱلْكَلْبُ ٱلَّذِى مَعَكَ؟ ثُمَّ عَرَضَ لَهُ آخَرُ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ: مَا هٰذَا نَاسِكًا، لِأَنَّ

ٱلنَّاسِكَ لَا يَقُودُ كَلْبًا . فَلَمْ يَزَالُوا مَعَهُ عَلَى هٰذَا وَ مِثْلِهِ حَتَّى لَمْ يَشُكَّ أَنَّ ٱلَّذِى يَقُودُهُ كَلْبٌ وَ أَنَّ ٱلَّذِى بَاعَهُ لَهُ سَحَرَ عَيْنَيْهِ . فَأَطْلَقَهُ مِنْ يَدِهِ فَأَخَذَهُ ٱلْمُحْتَالُونَ وَ مَضَوْا بِهِ .

٣٠

إِنْسَانٌ وَ أَسَدٌ وَ دُبٌّ فِى بِئْرٍ

حُكِىَ أَنَّ إِنْسَانًا هَرَبَ مِنَ ٱلْأَسَدِ فَوَقَعَ فِى بِئْرٍ . وَوَقَعَ ٱلْأَسَدُ عَلَيْهِ فَرَأَى ٱلْأَسَدُ فِى ٱلْبِئْرِ دُبًّا . فَقَالَ لَهُ ٱلْأَسَدُ : كَمْ لَكَ هٰهُنَا ؟ فَقَالَ لَهُ : مُنْذُ أَيَّامٍ وَ قَدْ قَتَلَنِى ٱلْجُوعُ . فَقَالَ لَهُ : دَعْنَا نَأْكُلْ هٰذَا ٱلْإِنْسَانَ وَ قَدْ كُفِينَا ٱلْجُوعَ . فَقَالَ لَهُ : وَ إِذَا عَاوَدَنَا ٱلْجُوعُ مَرَّةً أُخْرَى فَمَاذَا نَصْنَعُ ؟ وَلٰكِنَّ ٱلْأَوْلَى أَنَّنَا نَحْلِفُ لَهُ أَنْ لَا نُؤْذِيَهُ . فَيَحْتَالُ فِى خَلَاصِنَا لِأَنَّهُ أَقْدَرُ مِنَّا عَلَى ٱلْحِيلَةِ . فَحَلَفَا لَهُ فَٱحْتَالَ حَتَّى خَلَصَ وَخَلَّصَهُمَا . فَكَانَ نَظَرُ ٱلدُّبِّ أَكْمَلَ مِنْ نَظَرِ ٱلْأَسَدِ .

٣١

ثَعْلَبٌ وَضَبُعٌ

حُكِىَ أَنَّ ٱلثَّعْلَبَ ٱطَّلَعَ فِى بِئْرٍ وَ هُوَ عَاطِشٌ وَ عَلَيْهَا رِشَاءٌ فِى طَرَفَيْهِ دَلْوَانِ . فَقَعَدَ فِى ٱلدَّلْوِ ٱلْعُلْيَا فَٱنْحَدَرَتْ فَشَرِبَ . فَجَاءَتِ ٱلضَّبُعُ فَٱطَّلَعَتْ فِى ٱلْبِئْرِ فَأَبْصَرَتِ ٱلْقَمَرَ فِى ٱلْمَاءِ مُنْتَصِفًا وَٱلثَّعْلَبُ

قاعد في قعر البئر. فقالت له: ما تصنع هنا؟ فقال لها إني أكلت نصف هذه الجبنة وبقي نصفها لك فانزلي فكليها. فقالت: وكيف أنزل؟ قال: تقعدين في الدلو. فقعدت فيها فانحدرت وارتفع الثعلب في الدلو الأخرى. فلما التقيا في وسط البئر قالت له: ما هذا؟ قال: كذا التجار تختلف. فضربت بهما العرب المثل في المختلفين.

٣٢

إنسان وأسد ودب

حكي أن إنسانا هرب من أسد فالتجأ إلى شجرة فصعد عليها. وإذا فوقها دب يلتقط ثمرها. فجاء الأسد تحت الشجرة ثم افترش ينتظر نزول الإنسان. فالتفت الرجل إلى الدب فإذا هو يشير إليه بإصبعه على فمه أن اسكت لئلا يشعر الأسد أني ههنا. فتحير الرجل وكان معه سكين لطيف فأخذ يقطع الغصن الذي عليه الدب حتى أنهاه. فوقع الدب على الأرض فوثب عليه الأسد فتصارعا فافترس الأسد الدب وكر راجعا ونجا الرجل.

٣٣

حمار وثور

زعموا أنه كان لبعضهم حمار قد أبطرته الراحة وثور قد أذله التعب. فشكا الثور أمره يوما إلى الحمار وقال له: هل لك

يَا أَخِي أَنْ تَنصَحَنِي بِمَا يُرِيحُنِي مِنْ تَعَبِي هَذَا ٱلشَّدِيدِ ؟ فَقَالَ لَهُ ٱلْحِمَارُ: تَمَارَضْ وَ لاَ تَأْكُلْ عَلَفَكَ فَإِذَا كَانَ ٱلصَّبَاحُ وَ رَآكَ صَاحِبُنَا هَكَذَا تَرَكَكَ وَ لَمْ يَأْخُذْكَ لِلْحِرَاثَةِ فَتَسْتَرِيحُ . قَالُوا : وَ كَانَ صَاحِبُهُمَا يَفْهَمُ لِسَانَ ٱلْحَيَوَانَاتِ فَفَهِمَ مَا دَارَ بَيْنَهُمَا مِنَ ٱلْحَدِيثِ . ثُمَّ إِنَّ ٱلثَّوْرَ أَخَذَ بِنَصِيحَةِ ٱلْحِمَارِ وَ عَمِلَ بِمُوجِبِهَا . وَلَمَّا أَقْبَلَ ٱلصَّبَاحُ حَضَرَ صَاحِبُهُمَا فَرَأَى ٱلثَّوْرَ غَيْرَ آكِلٍ عَلَفَهُ فَتَرَكَهُ وَ أَخَذَ ٱلْحِمَارَ بَدَلَهُ . وَحَرَثَ عَلَيْهِ كُلَّ ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ حَتَّى كَادَ يَمُوتُ تَعَبًا . فَنَدِمَ عَلَى نَصِيحَتِهِ لِلثَّوْرِ . وَلَمَّا رَجَعَ عِنْدَ ٱلْمَسَاءِ قَالَ لَهُ ٱلثَّوْرُ : كَيْفَ حَالُكَ يَا أَخِي؟ فَقَالَ : بِخَيْرٍ غَيْرَ أَنِّي سَمِعْتُ ٱلْيَوْمَ مَا قَدْ هَالَنِي عَلَيْكَ . فَقَالَ لَهُ ٱلثَّوْرُ : وَ مَا ذَاكَ ؟ قَالَ ٱلْحِمَارُ : سَمِعْتُ صَاحِبَنَا يَقُولُ إِذَا بَقِيَ ٱلثَّوْرُ هَكَذَا مَرِيضًا يَجِبُ ذَبْحُهُ لِئَلَّا نَخْسَرَ ثَمَنَهُ . فَٱلرَّأْيُ ٱلْآنَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى عَادَتِكَ وَ تَأْكُلَ عَلَفَكَ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَحِلَّ بِكَ هَذَا ٱلْأَمْرُ ٱلْعَظِيمُ . فَقَالَ لَهُ ٱلثَّوْرُ : صَدَقْتَ . وَقَامَ لِلْحَالِ إِلَى عَلَفِهِ فَأَكَلَهُ . فَعِنْدَ ذَلِكَ ضَحِكَ صَاحِبُهُمَا .

(مَغْزَاهُ) : مَنْ كَانَ قَلِيلَ ٱلرَّأْيِ عَمِلَ مَا كَانَتْ عَاقِبَتُهُ وَبَالاً عَلَيْهِ .

٣٤

الدُّبَّةُ وَ صَاحِبُهَا

اِصْطَادَ رَجُلٌ دُبَّةً وَ صَارَ يُطْعِمُهَا وَ يَسْقِيهَا حَتَّى أَلِفَتْهُ . وَ كَانَتْ تُسَاعِدُهُ فِي أَعْمَالِهِ وَ تَذْهَبُ لِلصَّيْدِ . وَ تُحْضِرُ لَهُ مَا تَصْطَادُهُ .

وكانت تَحْرُسه إذا نَامَ فتَمْنَعُ عنه ما يُؤْذِيه . وَفى ذَاتِ يَوْمٍ نَامَ الرّجلُ وكانتِ الدُّبَّةُ بِجَانِبِه تَحْرُسه كعادتِها. فجاءَتْ ذُبَابَةٌ ووقعتْ على وجْهِه فطَرَدَتْهَا . فعادَتْ ثانِيَةً . وكانت كُلّمَا طَرَدَتْها تَعُودُ و تَقَعُ على وجهِ صاحِبِها . فَاغْتَاظَتْ منها الدُّبَّةُ وأَخذَتْ حَجَرًا وأَلْقَتْه عليها . فَجَاءَ الحجرُ على وجهِ صاحِبِها فَمَاتَ .

وَهكَذَا يَفْعَلُ الصَّدِيقُ الجاهلُ .

٣٥

مَادِحُ نَفْسِهِ كَذَّابٌ

مَرَّ رَجُلَانِ فى أَجمَةٍ كثيرةِ الأَشجارِ . فَرأَى أحدُهما على الأرضِ آثارَ أَقدَامِ السِّبَاعِ . فقال لِرَفِيقه إِنَّهُ يَخْشَى أَنْ يخرجَ عليهما سَبُعٌ فيقتُلهما ، ولَيْسَ معهما سلاحٌ يُدَافِعان به عن نَفْسَيْهِمَا . فقال الآخرُ : لا تَخَفْ ما دُمْتُ أنا مَعَكَ . وأنت تعلم مَبْلَغَ شجاعتى وقُوَّتى وَ .... وَ مَا كادَ يُتِمُّ كلامَه حَتَّى سَمِعا صوتَ دُبٍّ آتِيًا ، فتَرَكَ ذلك المُدَّعِى رفيقَه . وجَرَى نَحْوَ شَجَرَةٍ و صَعِدَ إلى قِمَّتِهَا هَرَبًا من الدبّ . وأَمَّا الآخرُ فاستَلْقَى على الأرضِ و كَتَمَ نَفَسَهُ . و لَمَّا جاء الدبُّ دَارَ حَوْلَه يَشُمُّ بَدَنَه فَلَمْ يَجِدْ فيه نَفَسًا . فظَنَّ أنّه مَيِّتٌ وَتَرَكَهُ وانْصَرَفَ . لأنّه لا يأكُلُ المَيْتَةَ .

وبعدَ أَنْ ذَهبَ الدبّ نَزَلَ ذلك الْمُدَّعِي عنِ الشجرةِ وأَقْبَلَ نحوَ رفيقِه وهُوَ فى شِـدَّةِ الخَجلِ. وسأَلَه على سبيلِ المُزاحِ عمّا قالَهُ الدبُّ فى أُذُنِهِ. فقالَ الثَّانى: هَذَا دُبٌّ حكيمٌ. فَلَقَدْ أَخْبَرَنى أنَّ مادحَ نفسِهِ كذَّابٌ لا يُصدَّقُ ولا يُعْتَمَدُ عليه.

٣٦
اَلْغُرَابُ وَالجَرَّةُ

عَطِشَ غُرابٌ وأَرادَ الشُّرْبَ وطفِقَ يَبْحَثُ عن ماءٍ فى كُلِّ ما جاوَرَهُ من الجِهاتِ. فَخابَ سَعْيُهُ ولم يَجِدْ إلاّ جَرَّةً فى قَعْرِها قليلٌ مِنَ الْماء لم يَقْدِرْ أَنْ يَصِلَ إليه لِبُعْدِ غَوْرِها ولِطُولِ عُنُقِهَا. ولكنَّ العَطَشَ اشْتَدَّ به. فأَعْمَلَ فِكْرَه فى تَدْبيرِ حيلةٍ يَرْفَعُ بها الماءَ إليه ما دَامَ هو غَيْرَ قادِرٍ علَى الوُصُولِ إلَى الْماء. وصَمَّمَ على أَلاَّ يَتْرُكَ المكانَ حَتَّى يشربَ من تلك الجرَّةِ. وقال فى نَفْسِهِ: إذَا صَدَقَ الْعزْمُ وَضَحَ السَّبِيلُ.

عندَ ذلك الْتَفَتَ حولَه. فرأَى حِجارَةً صغيرةً كثيرةً. فَذَهَبَ إليه وأَخَذَ واحداً بِمِنْقارِهِ. ورماه فى الجرَّةِ. فارْتَفَعَ الماءُ قليلًا. فعاد وجاء بِغَيْرِهِ. فزادَ ارْتِفَاعُ الْمَاء. فأَدْرَكَ أَنَّه إذا اسْتَمَرَّ على عملِه هـذَا ودَأَبَ عليه بَلَغَ غايَتَهُ وأَطْفَأَ حرارَةَ عطَشِهِ. فَلَبِثَ يَنْقُلُ الحِجارَةَ ويَرْمِيها فى جوْفِ الْجرَّةِ والماءُ يَرْتفِعُ فيها قليلًا قليلا

حَتّى أَمْكَنَهُ أَنْ يَصِلَ إِليه أَخيرًا . فَشَرِبَ حتَّى رَوِىَ بَعْدَ صَبْرِهِ وَ جِدِّهِ . وَ كَذَلِكَ كُلُّ مَنْ جَدَّ وَجَدَ .

٣٧

الدَّجَاجَةُ الَّتِى تَبِيضُ الذَّهَبَ

كان رجلٌ عندَه دَجَاجَةٌ . و كانت تَبِيضُ له كلَّ يومٍ بَيْضَةً من الذهبِ . فيأْخُذُها وَ يَشْتَرِى بِهَا مَا يُرِيدُ . و عاشَ على ذَلِكَ عِيشَةً سعيدَةً . و لكنَّه ظنَّ أَنَّ فى بَطْنِ الدجاجة كنزا . فَطَمِعَ فى أَنْ يَأْخُذَهُ دَفْعَةً وَاحِدَةً ليَصِيرَ من الأَغْنِيَاءِ . فَأَمْسَكَ الدجاجةَ و شق بطنها . غيرَ أَنَّه لم يَجِدِ الكنزَ الّذى كان يُرِيدُه . فَنَدِمَ على ما فَعَلَ . و قال : إِنَّ الطَّمعَ هو الّذى أَضَاعَ مِنِّى الذّهبَ الذى كنتُ آخُذُهُ كلَّ يومٍ و أَعِيشُ منه فى راحةٍ وَسَعَادَةٍ .

٣٨

الحِصَانُ و الذِّئْبُ

كان الحِصَانُ فى فَصْلِ الرَّبيعِ يعيشُ فى الحَقْلِ يأْكُلُ البِرْسِيمَ والحَشَائِشَ و يَنْتَقِلُ مِنْ مَكَانٍ إِلى مكانٍ حُرًّا مُسْتَرِيحًا من الشُّغْلِ و وَضْعِ اللِّجَامِ فى فَمِهِ و السَّرْجِ فوقَ ظَهْرِهِ و القَيْدِ فى رِجْلَيْهِ حتّى سمِنَ و صار حَسَنَ الْمَنْظَرِ قَوِىَّ الْجِسْمِ . فمَرَّ به الذِّئْبُ يومًا و رَآه على هٰذِهِ الْحَالِ فأَرَادَ أَنْ يَفْتَرِسَهُ ليأْكل منه ما يُرِيدُ . و لكنّه رأى

أَنْ يُفَكِّرَ فى حِيلَةٍ يصلُ بها إلى ذلك . فذهبَ إلى الحصانِ و قال له : إنَّنى طَبِيبٌ أُعَالِجُ الْمَرْضَى و أُعْطِيهِمُ الدَّوَاءَ مَجَّاناً . و إنَّنِى أَرَى أَنَّك واقفٌ من غيرِ لجامٍ فى فَمِكَ و مِنْ غَيْرِ سَرْجٍ على ظَهْرِكَ و لا حِزَامٍ على بَطْنِك و لا قَيْدٍ فى رِجْلَيْك . و لا بُدَّ أَن يكونَ بك مَرَضٌ فى مَعِدَتِك فَفَهِمَ الحِصانُ أَنَّ الذئبَ يُرِيدُ أَنْ يحتالَ عليه فعَزَمَ على أَنْ يَنْتَقِمَ منه . و قال له : إنَّ رِجْلِى بها جُرْحٌ من أَثَرِ القيدِ الّذى كان فيها . فتَقَدَّمَ الذئبُ ليرَى الجُرْحَ و يُعَالِجَه و هو يَنْوِى افتراسَ الحصانِ . و لكنَّ الحصانَ رفَسَهُ فى وجهِه رفْسَةً أَطَارَتْ أَسْنَانَه و هَشَّمَتْ وجهَه . فَفَرَّ الذِّئبُ و قال : إنَّنِى سَعَيْتُ فى ضَرَرِى بنَفْسِى لِأَنِّى ادَّعَيْتُ ما لا أَعْرِفُ ناوياً أَنْ أَضُرَّ غَيْرِى فعادَ الضَّرَرُ عَلَيَّ . و هذا جَزَائِى لأَنَّ الشَّرَّ يُصِيبُ صاحِبَهُ .

٣٩

القِطَارُ

قَاطِرَةُ الحَدِيدِ تَسِيرُ بالوَقُودِ
تُسْرِعُ بالرُّكَّابِ وَالـ ـمَتَاعِ و البَرِيدِ
تَنْقُلُهُمْ من بَلَدٍ لبلدٍ بعيدِ
تُوَفِّرُ الْوَقْتَ كما تُبْقِى على النُّقُودِ
كم يُخْرِجُ العِلْمُ لنا مِنْ عَمَلٍ مُفِيدِ

٤٠

وَ لاَ تَصْنَعِ الْمَعْرُوفَ فى غَيْرِ أَهْلِهِ

لَقَدْ رَمَدَ الثُّعْبَانُ يوماً من الشّتَا فمرَّ غـلامٌ و اسْـتَعَـدَّ لنَقْلهِ
وجاءَ بِهِ يَسْعَى إلى الدَّارِ طَائِشًا و أَدْفَأَهُ ، فانْظُرْ لقِلَّةِ عَقْلهِ
فلمَّا أَحسَّ الْوَحْشُ بالدِّفْءِ حولَه وساحَتْ سُمُومُ الموتِ فى الجسمِ كُلّهِ
و فَتَّحَ عَيْنَيْه و حَرَّكَ رأسَـه على الوَلَدِ المِسْكِينِ يَبْغِى لقتْلهِ
أتاهُ أبوُهُ عـاجِـلًا قَطَّ رأسَـه و دَاسَ عليه غاضِـبًا بنِعَالِهِ
و قال : بُنَيَّ احْذَرْ لئِيمًا لقِيتَه و لا تَصْنَعِ الْمَعْرُوفَ فى غَيْرِ أَهْلِهِ

٤١

الطَّاوُسُ

قَـدْ أَظْهَرَ الطاوسُ إِعْجَابَه و اخْتالَ بينَ الوَرْدِ و الْآسِ
يَفْتِنُ النَّاظِرَ فى شَـكْلِهِ بِحُسْنِ رِيشِ الذَّيْلِ وَالرَّاسِ
لكنَّ عُصْفُورًا تَصَدَّى له بالذّمِ فى صَحْبٍ و جُلَّاسِ
وعَابَ منه السَّاقَ فى عُرْيِها عن ثَوْبِ رِيشٍ نَاعِمٍ كَاسِى
فقامَ من حـولِهِمَا طائرٌ يَرْمِيهما بالمَنْطِقِ القَاسِـى
فقال : كل منكما مُعْجَبٌ و غافِلٌ عن عيبِه نَاسِـى
لَوْ نَظَرَ النّاسُ إلى عيبِهم ما عابَ إنسانٌ على النَّاسِ

٤٢

حِكَمٌ وَ أَمْثَالٌ

النَّظَافَةُ مِنَ الايمانِ ـ من جَدَّ وَجَدَ ـ العقلُ السَّلِيمُ فى الجسمِ السليمِ ـ من تَأَنَّى نال ما تَمَنَّى ـ خَيْرُ الأَصحابِ من دَلَّكَ على الخيرِ ـ سوءُ الْخُلُقِ يُعْدِى ـ تَنْظِيمُ العملِ يوَفِّرُ نصفَ الوقتِ ـ العملُ يَجْعَلُ الصَّعْبَ سهلًا و البَطَالَةُ تجعلُ السهلَ صعبًا ـ أَحْسِنْ إِذَا أَرَدْتَ أن يُحْسَنَ إِليك ۰ من يَزْرَعْ يَحْصُدْ ـ الحَسُودُ لا يَسُودُ ـ العلمُ فى الصِّغَرِ كالنَّقْشِ على الحجر ـ فى التَّأَنِّى السَّلَامَةُ و فى العَجَلَةِ النَّدَامَةُ ـ مَنْ شَبَّ على شَىْءٍ شابَ عليه ـ نَحْنُ نُفَكِّرُ و اللّٰهُ يُدَبِّرُ ـ من حَفَرَ لأَخيه حُفْرَةً وَقَعَ فيها ـ مَنْ قَلَّ صِدْقُه قلَّ صَدِيقُه ـ كَمَا يَدِينُ الْفَتَى يُدَانُ ـ

٤٣

الدِّيكُ و الثَّعلبُ

بَرَزَ الثعلبُ يومًا فى شِعَارِ الوَاعِظِينَا
فَمَشَى فى الأرضِ يَهْدِى و يَسُبُّ الْمَاكِرِينَا
و يقولُ : الْحَمْدُ لِلّٰهِ إِلٰهِ العالَمِينَا
يا عِبَادَ اللّٰهِ تُوبُوا فَهْوَ كَهْفُ التَّائِبِينَا
وازْهَدُوا فى الطَّيْرِ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الزَّاهِدِينَا

وَاطْلُبُوا الدّيكَ يؤَذّنْ لصلاةِ الصُّبْحِ فينا
فأَتى الدّيكَ رسولٌ من إمامِ النَّاسِكينا
عرضَ الأَمْرَ عليه وَهْوَ يَرْجو أَنْ يَلينا
فأَجابَ الديكُ: عُذْرًا يا أَضلَّ الْمُهْتَدينا
بَلِّغِ الثَّعْلبَ عنّي عن جُدُودِي الصَّالحينا
عن ذَوِي التِّيجانِ مِمَّنْ دَخَلَ البطنَ اللّعينا
أَنّهم قالوا ــ وخير الْقَوْلِ قولُ الْعارِفينا ــ :
مُخْطِئٌ من ظنَّ يومًا أَنَّ للثَّعْلبِ دينًا

٤٤

قصَّةُ سَيِّدِنَا مُوسَى

قَوْمُ سيّدِنا موسى هُمُ الْيهودُ. ويُسَمَّوْنَ بَنِي إِسْرائِيلَ لأَنَّهُمْ من ذُرِّيَّةِ إِسرائيلَ الَّذِي هو يَعْقُوبُ بْنُ إِسحَقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عليهمُ السَّلامُ. ومَعْنَى إِسْرَائِيلَ عَبْدُ اللهِ.

وقَدْ جاءَ يعقُوبُ مع أَوْلادِه وذُرِّيتِهِ إِلى مِصْرَ أَيّامَ الفَراعِنَةِ لمَّا كان سَيِّدُنا يوسُفُ قائِمًا بتَدْبيرِ الخَزائِنِ لِمَلِكِ مصرَ وعاشوا فيها. ولمَّا رَأى الفراعنةُ أَنَّ بني إِسرائيلَ قد كَثُرُوا خافُوا أَنْ يُزاحِمُوهم في بلادِهم فعامَلُوهم مُعامَلةً سَيِّئَةً وصارُوا يُذَبِّحُونَ الذكورَ مِنْ أَوْلادِهِمْ.

وَ لمَّا وُلِدَ سيِّدُنا موسى خافت أُمُّهُ أَنْ يَذْبَحه فرعونُ فوضعَتْهُ فى صُنْدُوقٍ و طَلَتْهُ بِالْقَارِ ثُمَّ أَلْقَتْهُ فى نَهْرِ النِّيل فعَامَ على وجهِ الماءِ حتّى الْتَقَطَهُ آلُ فرعونَ من النَّهْرِ . و لمَّا رَأَتْهُ امْرأَةُ فرعونَ فَرِحتْ بِهِ و عَرَفَتْ أَنَّه من بنى إسرائيلَ فقالت : لا تَقْتُلُوه عَسَى أَنْ يَنْفَعَنا أَو نَتَّخِذَهُ وَلَدًا . و لما كَبِرَ كان يَعرفُ أنّه من بَنِي إِسْرَائيلَ فكان يَخْتَلِطُ بهم و يُدافع عنهم لأَنَّهم قَوْمُه . و قَدْ رَأَى مرّةً رجلًا إِسْرَائِيلِيًّا يَتَشَاجَرُ مع رجلٍ مصرىٍّ فَانْحَازَ إلى جَانِبِ الْاسرائيلىّ و ضَرَبَ المِصْرِىَّ بقبْضَةِ يَدِهِ فأَمَاته . و لكنَّهُ نَدِمَ على عَمَلِهِ و خَافَ أن يَنْتَقِمَ منه فِرْعَوْنُ فَهَرَبَ من مصْرَ إلى جِهَةٍ تُسَمَّى مَدْيَنَ فى بلادِ العَرَبِ . فَوَجَدَ بها بِئْرًا ازْدَحم عليها الناسُ لِيَسْقُوا مَوَاشِيَهُمْ . و وَجَدَ بِنْتَيْنِ لا تَسْتَطِيعَان السَّقْىَ لشِدَّةِ الزِّحَامِ فَاعَانَهُمَا و سَقَى لهما غَنَمهُمَا ثمَّ جلس فى الظِلِّ . و كانتِ البِنْتَان هما بِنْتَىْ نبىِّ اللهِ شُعَيْبٍ . فلمَّا رَجعَتا إلى أبيهما أَخْبَرَتَاهُ بما فَعَلَ موسَى فأَرْسَلَ إِليه و عَرَضَ عليهِ أن يُزَوِّجهُ احدى ابْنَتَيْهِ على أَنْ يَشْتَغِلَ معَهُ أَجيرًا ثَمَانِىَ سِنِينَ أو عَشْرًا . فَرَضِىَ موسى بذلك و تَزَوَّجَ ابْنَتَه و مَكَثَ عشْرَ سَنوَاتٍ يُسَاعِدُه .

ثُمَّ بَعثَ اللهُ موسَى رسولاً و أَمَرَهُ أَنْ يذهَبَ إلى فرعونَ و قومِه لِيُخَلِّصَ بَنِى إسرائيلَ فذهبَ إلى مصرَ ودعا فرعونَ إلى

الايمانِ باللهِ تعالى . فلم يُصغِ إلى قولِهِ . فأَظهرَ له موسى المُعجزَةَ و أَلقَى عصاهُ فانقلبَتْ حيَّةً كبيرةً خافَ منها فرعونُ و لكنَّهُ قال لِموسى : إنَّ هذا سِحرٌ وعِندَنا من السَّحرَةِ مَنْ يفعلُ مثلَ ذلِكَ.

ثمَّ جمعَ السَّحرَةَ و قال لهم : قدْ جاءنا ساحِرٌ ما رأَيْنا مثله أبدًا و إنَّكم إن غلبتُموهُ أَكرَمتُكُمْ . فقالُوا : حدِّدْ لنا موْعِدًا نجتمِعُ فيه . فقال لهم : موعدُكم يومُ العيدِ . فجمعَ فرعونُ الناسَ ليُشاهِدُوا عَملَ السَّحرَةِ وَ خرج موسى يتَّكِئُ على عصاه ومعه أخوه هارُونُ حتّى أتَى الجمعَ و فرعونُ فى مَجلِسِه معَ أشرافِ مملَكتِهِ .

فقال موسى للسَّحَرةِ : ابدَؤُا أنتم . فألقَوْا حِبالَهم و عِصِيَّهمْ فكانت تظهرُ كأنَّها حيَّاتٌ و ثعابينُ . و هى لم تكُنْ كذلك حقِيقةً و لكِنْ هذا وَهْمٌ .

ثم أَلقَى موسى عصاه فإذا هِيَ حيَّةٌ تَسْعَى . و أخذتْ تأكُلُ جميعَ ما عمِلَهُ السَّحرةُ . و عِندَ ذلك عرفوُا أنَّ عملَ موسى ليس سِحرًا واعترَفوا بأنَّهُ مُعجِزَةٌ مِنَ الله فآمنُوا وَسَجدُوا لِلهِ .

فلما رَأَى فرعونُ ذلك اغتَاظَ و قال للسَّحرةِ : فلأُقطِّعَنَّ أيدِيكُمْ و أرجُلَكُمْ من خِلافٍ ولأُصلِّبَنَّكُمْ فى جُذُوعِ النَّخلِ .

فقالوا له : افعلْ ما شِئتَ إنّا آمنّا بربِّنا ليغفِرَ لنا خطَايانَا .

و لمَّا لم يُؤْمِنْ فرعونُ و استَمرَّ هو و قوْمُه فى إيذاءِ بَنِي إسرائيلَ أمرَ اللهُ موسى أنْ يخرجَ مِنْ مصرَ هو و بنُوا إسرائيلَ .

فَسَارُوا فى الصَّحْرَاء حَتَّى وَصَلُوا إِلى البَحْرِ الْأَحمرِ. فَأَتْبَعَهُمْ فرعونُ بِجُنُوده حتى أَدْرَكُوهُمْ. فَخَافَ بَنوُا إِسرائيلَ فقال لهم موسى: لا تَخَافوُا إِنَّ مَعِى رَبِّى سَيَهْدِين.

و قد أَوْحِى اللهُ إِليه: أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ البَحْرَ. فضَرَبَ موسى البحرَ فانْفَلَقَ أَمَامَهم و ظَهَرَتِ الارضُ فَمَشَوْا عليها. و سار فرعونُ وَرَاءَهم هو و جُنوُدُه و لكنَّ البَحْرَ انْطَبَقَ عليهم و غَرِقوُا و نَجى اللهُ موسى و قَوْمَه.

٤٥

قِصَّةُ سيِّدِنا إِبْرَاهِيمَ

كان سيِّدُنا إِبراهيمُ فى جِهَةٍ تُسَمَّى أَرْضَ بَابِلَ فى قَارَّةِ آسِيَا قُرْبَ بلادِ العَربِ. و كان قَوْمُه يعبُدُون الأَصْنَامَ الَّتِي يَصْنَعُونَها من الحِجَارَةِ. فرأى سيدُنا إِبراهيمُ أَنَّ عبادَةَ الْأَصْنَامِ خَطَأٌ و أَنَّ الذى يَجِبُ أَنْ يُعْبَدَ هو الاِلٰهُ الحَقُّ رَبُّ السَّموَاتِ و الأَرْضِ الذى خلقَ الشَّمْسَ و الْقَمَرَ و جميعَ ما فى الْعَالَمِ.

فدَعَا قومَه إِلى عِبادَةِ الله. وقال لهم: إِنَّ هذه الأَحجارَ الَّتِي تَعْبُدُونها لا تَنْفَعُ و لا تَسْمَعُ و لا تَمْنَعُ الضَّرَ لا عنكم و لا عن نفسِها. فَمِنَ الْجَهلِ عبادَتُها. فلم يُصْغُوا إِلى قولِه و لم يؤمنوا باللهِ و قالوا: وَجدْنَا آبَاءَنَا لها عابِدِينَ.

فانْتَهَزَ إبراهيمُ وقتًا لم يكن فيه أحدٌ عندَ الأصْنام و أخذ فَأْسًا و كَسَّرَها إلاَّ الصَّنَمَ الكبيرَ فإنّه تركه و عَلَّقَ الفأسَ برَقَبَتِهِ. فلمَّا وجدوا أصْنَامَهم مُكسَّرَةً صَاحوُا و غضِبوا و قالوا: مَنْ فَعَل هذا بآلِهَتِنَا إنّه لَمِنَ الظَّالِمِينَ. فقَالَ بعضُهم: سمِعْنا فَتًى يَذْكُرُهم يُقَال له إبراهيمُ. فأَحْضَرُوهُ وسَأَلوه: أأَنْتَ فعلتَ هذا بآلِهَتِنَا يا إبراهيمُ؟ فأرادَ إبراهيمُ أن يُظْهِرَ لَهُمْ جهلَهم و خطَأَهُمْ و يَسْتَهْزِئَ بهم. فأشَارَ إلى الصَّنمِ الكبير وقال: بَلْ فَعَلَه كبيرُهم هذا فاسْأَلُوهم إن كانوا يَنطِقُون. فاغْتَاظوُا من كلامِ إبراهيمَ و تَحَيَّرُوا. لأنّهم يَعلَمون أنّ الأَصنامَ لا تَنطِقُ. فقال لهم إبراهيم: أَفَتَعْبُدونَ مِنْ دُونِ اللهِ ما لا ينفعُكُم شيأً ولا يَضُرُّكم. فتَأَلَّمُوا من سيدنا إبراهيمَ لأنّهم رَأَوْهُ يَسْخَرُ مِنهم ومِن أصنامِهم. واتَّفَقُوا على أنْ يُحرِقُوه. فجَمَعوا له حَطَبًا كثيرًا وأوقَدُوا النَّارَ وأَلْقَوْا سيّدَنَا إبراهيمَ فيهَا. و لكنّ الله حفِظَه منها وجعلها بَرْدًا وسَلاَمًا و نَجَّاه من أعداءه وهو ثَابِتٌ على عَقيدَتِه وإيمانه باللهِ.

و من أوْلادِ سيّدِنا إبراهيمَ إسْمَاعِيلُ الّذى من ذُرِّيَّتِهِ سيدُنا محمدٌ عليه السلامُ. ومن أولاده أيضا إسْحَقُ و هو جَدُّ سيدِنا يُوسُفَ عليه السلامُ و من ذُرِّيَّتِه بنو إسرائيلَ.

٤٦

شَفَقَةُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ

عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ هو ثانى الْخُلَفاءِ الرّاشِدين . و قَدْ كان عادلاً شديدا فى تَنفيذِ الأحكام . و لكنّه مع ذلك كان رَقِيقَ القَلْبِ مُتَواضعًا رَحِيمًا .

فَقَدْ خَرَجَ ذاتَ لَيْلَةٍ يتفقّد أحوالَ رَعِيَّتِهِ و كان الجَوُّ بارِدًا فرأى نارًا تُضِيءُ فى أحدِ المَساكِنِ فلمّا اقْتَرَبَ منها وجد امْرَأَةً تُوقِدُ تحت قِدْرٍ و بجانبها أولادُها و هم يَبْكُون و يَصِيحون . فسألها عن حالها و عن سبب بُكاء الأطفال . فقالت : إنّهم يَصِيحُو مِنَ الْجوعِ . فقال لها : و ما الّذى فى هذه القِدْرِ ؟ فقالت : فيها ماءٌ أُسْكِتُهُمْ بِهِ و أُوهِمُهُمْ أنَّ فيها طعامًا حتّى يَناموا . و لم تَكُنِ المرأةُ تعرف أنّ الذى يُكلّمها هو عمرُ بنُ الخطّاب نفسُه . فقالت : اللهُ بَيْنَنا و بَيْنَ عُمَرَ ! لقد كان عليه أن يَبْحَثَ عمّا يُخَفِّف آلامَنا . فقال لها : و مِن أيْنَ يعلَمُ عُمَرُ بحالكِ ؟ فقالت : أَيَتولّى أمْرَنا و يَنامُ عنّا ؟ ! فقامَ عمرُ مِن فَوْرِهِ و أحْضَرَ سَمْنًا و كيسًا مِن الدَّقِيقِ حملَهما بنفسه و عاد إلى المرأةِ و وضعَهما بين يديها . ثُمَّ جلس و وضع مِقْدارًا من الدقيق و مقدارًا من السَّمْنِ فى القدر و صار يُحرّكهما و يَنْفُخُ فى النار حتى نَضِجَ الطعامُ ثمّ أفْرَغَهُ فى صَحْفَةٍ و قدّمهُ لِلأطْفال .

فأَكلوا حتّى شبِعوا و فرِحوا . فشَكَرَته المرأةُ على حُسْنِ صَنيعِهِ وقالت : جَزَاكَ اللهُ خيراً . أنت أَوْلى بهذا الأَمْرِ من أمير المؤمنين عمرَ . فقال لها : إنكِ إذا جِئْتِ أميرَ المؤمنين غَداً وَجَدْتِنِي هناكَ . ثم خرج عمرُ وجلس قريبا من الدار يَسْمع الأطفالَ يلْعَبُون و يَضْحَكون حتّى ناموا وهَدَءوا . فقام مُطْمَئِنّاً وهو يَحْمَدُ اللهَ على ما فَعَلَ .

٤٧

جزاءُ الوالِدَيْنِ

مَالِي مَرِضتُ وكَمْ أُقاسِي مِنْ أَلَمْ ! و رقَدْتُ فى مهدِى و كم أَشْكُو وكَمْ !
أَوَّاهُ مِنْ وَجَعٍ أَرَاهُ أَصابَنِي ! فهَتَفْتُ : يا أُمَّاهُ ! قالت لى : نعَمْ !
جاءت على عَجَلٍ بلَوْنٍ شاحِبٍ وحَنِينِ صوتٍ هاجَ من قلبٍ لِغَمْ .
لَثَمَتْ خُدُودِي رَحْمةً و محبّةً وجرَتْ تَجِيءُ بما يُخفّفُ لي الأَلَمْ .
عادَتْ تُسَلِّينِي بِعَذْبِ حَدِيثِها و تَقُصُّ من خَبَرِ البلادِ مَعَ الأُمَمْ
حتى سمعتُ على السَّلالِمِ ضَجَّةً و كلامَ أَشْخَاصٍ فوقْعًا بالْقَدَمْ
هذا أبِي و بِجنْبِهِ رَجُلٌ أَتَى هُوَذَا الطَّبِيبُ لكى يُعَالِجَنِي قَدِمْ
قاسَ الحَرَارَةَ جسَّ نَبْضِي بعْدَها و رجَالِىَ الْبُرْءَ السَّرِيعَ مِنَ السَّقَمْ
حَضَرَ الدَّوَا ، فشَرِبْتُه فوَجَدْتُه مُرًّا ، و لكنْ فيه كَشْفٌ لِلْغُمَمْ
فرِحَتْ لِذَا أُمّى ، وداعَبَنِي أَبِي فَنَشِطْتُ حتّى من سُرُورِى لَمْ أَنَمْ
هذا حَنَانُ الأُمِّ ، من أجْلِ ابْنِها وكذا حُبُّ أبِي ، فما هَذِى النِّعَمْ !
لَجزاءُ هذا الحُبِّ مِنِّى طاعةٌ و مَحَبَّةٌ ما شاءَ رَبِّي ذو الكَرَمْ

٤٨

أهمُّ العِبَادَاتِ

من أَهَمِّ العباداتِ الصَّلاةُ والصَّوْمُ والزَّكاةُ والحَجُّ .

الصَّلَاةُ

الصَّلاةُ لُغَةً الدعاء واصطِلَاحًا هي الاقوالُ والافعالُ المَخْصُوصَةُ المُفْتَتَحَةُ بالتكبيرِ المُخْتَتَمَةُ بالتَّسْلِيم .

وفُرِضَتِ الصَّلاةُ بمكةَ ليلةَ الاسْرَاء وهي لَيْلَةُ السابعِ والعشرين مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ قبلَ الهِجرة بسَنَةٍ كما جَرَى عليه النَّوَوِيُّ .

والصَّلاةُ ثابتةٌ بالكتاب والسُّنَّةِ والاِجْماع . قال الله تعالى : وأقيمُوا الصَّلاةَ وآتوُا الزَّكاةَ . وقال تعالى : حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلَاةِ الوُسْطَى وقومُوا لله قانِتِينَ . ورَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عنهما قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ : بُنِيَ الاسلامُ على خَمْسٍ . شَهَادَةِ أن لا إِلَهَ إلا اللهُ وأنَّ محمدًا رسولُ اللهِ ، وإقَامِ الصَّلاةِ ، وإيتَاء الزَّكاة ، وحَجِّ البيت ، وصَومِ رمضانَ . ورَوَى عُبَادَةُ بْنُ الصَّامتِ رضى الله عنه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : خَمْسُ صَلَوَاتٍ كتبهُنَّ الله على العِبَادِ . فمَنْ جاء بهِنَّ لم يُضَيِّعْ منهن شَيْأً اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ كان له عندَ الله عَهْدٌ أن يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ ، ومن لم يَأْتِ بهِنَّ فلَيْسَ له عند الله عهد إن شاء عذَّبَهُ وإن شاء أدْخَلَهُ الجَنَّةَ .

فمن جحد الصلاة كفر لثبوتها بدليل قطعي . و قد روى الطبراني عن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر جهارا . فالصلاة فرض على كل مسلم بالغ عاقل سواء كان ذكرا أم أنثى حرا أم عبدا فى كل يوم وليلة خمس صلوات .

❁ صلاة الجمعة ❁

صلاة الجمعة فرض عين ثبت بالكتاب و السنة و الاجماع . قال تعالى : يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون .

و صلاة الجمعة ركعتان فرضا و هى صلاة مستقلة فليست ظهرا مقصورة و لها سنة مؤكدة أربع ركعات قبل الفرض وأربع بعده بتسليمة واحدة .

و روى أبو داود و الحاكم أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : الجمعة حق واجب على كل مسلم إلا أربعة عبدا مملوكا أو امرأة أو صبيا أو مريضا .

صَلَاةُ الجَمَاعَةِ

الجماعةُ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ للرّجالِ فى الصلوات الخَمْسِ . و قيلْ هى واجِبَةٌ . و الجماعَةُ شرطٌ فى صِحَّةِ صلاة الجمعةِ و العيدَيْنِ . و قد رَوَى البُخَارِىُّ عن عبدِ الله بْنِ عُمَرَ رضى الله عنهما اَنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه و سلم قَال : صلاةُ الجماعةِ تَفْضُلُ صلاةَ الْفَذِّ بسَبْعٍ و عشرينَ دَرَجَةً .

الصَّوْمُ

و صومُ رَمَضَانَ فرضُ عينٍ قد ثبت با لكتاب و السنة و الاجماع و قد فُرِضَ فى شهرِ شَعْبَانَ مِنَ السنة الثانيةِ للهجرةِ . قَال تعالى : يا ايها الذين آمنوا كُتِبَ عليكمُ الصِّيَامُ كما كُتب على الذين من قبلِكم لعلّكم تَتَّقُونَ . و قَال تعالى : شهرُ رمضانَ الذى اُنْزِلَ فيه القُرْآنُ هُدًى للنَّاس و بَيِّنَاتٍ من الهُدَى و الفُرْقَان فَمنْ شَهِدَ منكمُ الشهرَ فَلْيَصُمْهُ و مَنْ كانَ مريضًا او على سَفَرٍ فعِدَّةٌ من أَيَّامٍ أُخَرَ . يُرِيدُ اللهُ بكمُ اليُسْرَ و لا يُرِيدُ بكمِ العُسْرَ و لِتُكْمِلوُا العِدَّةَ و لِتُكَبِّروا اللهَ عَلَى ما هَدَاكُمْ و لعلَّكم تَشْكُرُونَ .

الزَّكَاةُ

اعْلَمْ أَن الزكاةَ فرضُ عين كالصلاة . و فُرِضَتْ فى شَوَّالٍ فى السنة الثانية من الهجرة . و الاَصْلُ فى وُجوُبِها قولُ الله تعالى : و أَقِيمُوا الصلاة و آتوا الزكاة . و قوُله تعالى : خُذْ مِن أَمْوَالِهِمْ

صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّيهِمْ بِهَا . و قد رَوَى البُخَارِيُّ عن ابن عَبَّاسٍ رضى الله عنهما أَن النبيَّ صلى الله عليه و سلم بَعَثَ مُعَاذًا الى الْيَمَنِ فقال : اُدْعُهُمْ إلَى شهادةِ ان لا إلهَ إلا الله و أَنِّي رسولُ الله فَاِذَا هُمْ أَطاعوُا لذلك فأَعْلِمْهُمْ أَن الله افْتَرَضَ عليهم خمسَ صلواتٍ فى كلِّ يومٍ و ليلةٍ . فاِنْ هُمْ أَطاعوُا لذلك فأَعْلِمْهُمْ أَن الله افترض عليهم صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنيَائِهِم و تُرَدُّ على فُقَرَائِهِمْ .

﴿ اَلْحَجُّ ﴾

اعلَمْ أنَّ الحجَّ فرضُ عينٍ فى العُمْرِ مَرَّةً وَاحِدَةً لِمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ و النَّسَائِيُّ من قوله صلى الله عليه و سلم : اَلْحَجُّ مَرَّةً واحدة فَمَنْ زادَ فهو تَطَوُّعٌ . و ثبت بالكتاب و السنة و الاجماع . قال الله تعالى : و لِلهِ على النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إليه سَبِيلًا .

و لا يجبُ إلا على الحُرِّ البالغ العاقل القادر على الزَّادِ و الرَّاحِلَةِ بِشَرْطِ أنْ يَزِيدَ ذلك عما يلزم لِمَسْكَنِهِ و ما يَلْزَمُهُ فى نَفَقَةِ الذَّهَابِ و الايَابِ و ما يلزم لِعيَالِهِ إلى حِينِ عَوْدَتِهِ من الحج .

و الحُجَّاجُ يَزُورُون المدينةَ المُنَوَّرَةَ و مَسْجِدَ رسولِ الله صلى الله عليه و سلم و قَبْرَهُ الشَّرِيفَ . و هذه الزيارةُ ليسَتْ واجِبَةً لكنَّها مِنْ أَفْضَلِ القُرَبِ و أَحْسَنِ المُسْتَحَبَّاتِ .

٤٩

الإخوانُ

تَغَيَّرَتِ الْمَوَدَّةُ و الإِخَاءُ   وقَلَّ الصِّدقُ واْنقطع الرَّجَاءُ
وأسلَمَنِي الزمانُ إلى صديقٍ   كثيرِ الغَدْرِ لَيْسَ له رِعَاءُ
ورُبَّ أخٍ وفَيتُ له وَفَائِي   ولٰكِنْ لا يَدُومُ له وفاءُ
أخِلَّاءٌ إذا استَغْنَيْتُ عنهم   وأَعْدَاءٌ إذا نَزَلَ الْبَلَاءُ.
يُديمُونَ المودةَ ما رَأَوْنِي   ويَبْقَى الوُدُّ ما بَقِيَ اللِّقَاءُ
فإن غُيِّبْتُ عن أحد قَلَانِي   وعاقَبَنِي بما فيه اُكتفاءُ
سَيُغْنِينِي الذي أغناه عنّي   فلا فقرٌ يدوم ولا ثَرَاءُ
وكل مودّةٍ لله تَصْفُو   ولا يصفو على الفِسْقِ الاخاء
وكل جراحة فلها دوَاءٌ   وخُلُقُ السُّوءِ ليس له دواء
وليس بدائم أبدًا نعيمٌ   كذاك البُؤْسُ ليس له بقاء
إذا أَنْكَرْتُ عهدا من حميمٍ   ففي نفسى التكرُّم و الحياء
إذَا مَا رأسُ أهلِ البيتِ وَلَّى   بَدَا لهم مِن الناس الجَفَاءُ

٥٠

هِجْرَةُ النَّبيّ صلى الله عليه و سلم

مِنْ تَارِيخِ ابْنِ خَلْدُونَ

و لما عَلِمت قريشٌ أَن رسولَ الله صلى الله عليه و سلم قد صار له شِيعَةٌ و أَنصارٌ مِن غيرِهم و أنه مُجْمِعٌ على اللَّحَاقِ بهم و أن أصحابه

من المهاجرين سَبَقُوه إليهم تَشاوَرُوا ما يصنعون فى أمره و اجتمعت لذلك مَشيَختُهم فى دار النَّدْوَةِ و معهم من لا يُعَدُّ من قريش فتشاوروا فى حَبْسِه و إخراجه عنهم ثم اتفقوا على أن يَتَخيَّرُوا من كلِّ قَبِيلَةٍ منهم فَتًى شابًّا جَلدًا فيقتلونه جميعا فيتفرقُ دَمُه فى القبائل و لا يقْدِر بنو عَبْدِ مَنَافٍ على حربِ جميعهم و استَعَدُّوا لذلك من ليلتهم و جاء الوَحْيُ بذلك إلى النبى صلى الله عليه و سلم . فلما رأى إرْصادَهم على باب منزله أمَرَ عليَّ بنَ أبى طالب أن ينام على فراشه و يَتَوَشَّحَ بِبُرْدِهِ ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فطَمَسَ الله تعالى على أبصارهم و وضع على رُؤُوسِهم تُرابا و أقامُوا طولَ ليلتِهم فلما أصبحوا خرج إليهم على فعلموا أن النبى صلى الله عليه وسلم قد نجا و تواعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبى بكر الصِّدِّيقِ و استأْجَرَ عبدَ اللهِ بنَ أُرَيْقِطٍ الدولِيَّ من بنى بكر بن عبد مناةَ ليَدُلَّ بهما إلى المدينةِ و يَنْكُبَ عن الطريق العُظْمَى . وكان كافرًا وحَلِيفًا للعاصِى بْنِ وائِلٍ لكنَّهما وَثِقَا بأَمره وكان دليلا بالطُّرُقِ وخرجَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خَوْخَةٍ فى ظَهْرِ دارِ أبى بكر ليلا و أتيَا الغَارَ الذى فى جَبَلِ ثَوْرٍ بأَسْفَلِ مَكَّةَ فدخلا فيه . وكان عبد الله بن أبى بكر يَأْتيهما بالأخبار وعامِرُ بنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أبى بكر وراعى غَنَمِهِ يُرِيحُ غنمَه عليهما ليلا ليأْخذَا حاجتَهما من لبنها و أسماءُ بنتُ أبى بكر

تأْتيهما بالطعام و يُعفِى عامرٌ بالغنم أثَرَ عبـد الله و لمـا فقدته قريشٌ اتّبعوه و معهم القائِف فقاف الأثَرَ حـتّى وقف عند الغار و قال هُنَا انقطع الأثَرُ و إذا بنَسْجِ العَنـكَبُوتِ على فَمِ الغار فاطْمَأَنُّوا إلى ذلك و رجعوا و جعلوا مِائَةَ نَاقَةٍ لمن ردَّهما عليهم . ثم أتاهما عبد الله بن أُرَيْقِطٍ بعد ثلاثٍ براحِلَتَيهما فرَكِبَا و أرْدَفَ أبو بكر عامرَ بْنَ فُهَيْرَة وأَتَتْهُمَا أسماءُ بِسُفْرَةٍ لهما و شَقَّتْ نِطَاقَها و ربطت السفرة فسُمّيَت ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ . و حمـل أبو بكر جميع ماله نَحوَ سِتَّةِ آلافِ دِرْهَمٍ و مَرُّوا بِسُرَاقَةَ بن مالك بن جَعْشَمٍ فاتَّبعَهُم ليَرُدَّهم . و لما رَأَوْه دعا عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم فساخت قوائم فرَسِه فى الأرض فنادَى بالأمان و أَن يَعفُوا له و طلب من النبى أن يكتبَ له كتابا فكتبه أبو بكر بأمْرِه و سَلَكَ الدليلُ من أسفلِ مَكَّةَ على الساحِلِ من عُسْفَانَ و أَمَجَ و أجاز قُدَيْدًا إلى العَرْجِ ثم إلى قُبَا من عَوَالِى المدينة و وردوها قريبا من الزوال يوم الاثنين لاثْنَتَىْ عَشْـرَةَ ليلةً خَلَتْ من ربيع الأول و خرج الأنصار يَتَلَقَّوْنَه و قد كانوا ينتظرونه حتى إذا قَلَصَتِ الظلالُ رجعوا إلى بيوتهم فتلقوه مع أبى بكر فى ظِلّ نَخْلَةٍ . و نزل عليه السلام بقُبًا على سَعْدِ بْنِ خَيْثَمَةَ و قيل على كُلْثُوم بن الهَـدْمِ و نزل أبو بكر بالسُّنْحِ فى بنى الحرث بن خَزْرَجٍ على خُبَيْبِ بن أَسَدٍ و قيل على خارِجَةَ بن زَيْدٍ و لَحِقَ بهم علىٌّ رضى الله

عنه من مكة بعدَ أن ردّ الوَدَائِعَ للناس الّتي كانت عند النبيّ صلى الله عليه و سلم فنزل معه بقُبَاءٍ و أقام رسول الله صلى الله عليه و سلم هنالك أيَّامًا ثم نهض لمـَّا أمر الله و أدركَتْهُ الجُمُعَةُ في بني سالم بن عَوْفٍ . فصلاها في المسجد هنالك و رغِبَ إليه رجالُ بني سالم أن يُقيم عندهم و تبادَرُوا الى خِطَامِ ناقَتِه اغْتِنَامًا لِبَرَكَتِهِ . فقال عليه السلام : خَلُّوا سَبِيلَهَا فانّها مأمورةٌ . ثم مشى و الأنصارُ حَوَالَيْهِ إلى أنْ مَرَّ بدارِ بني بَيَاضَةَ فتبادر إليه رجالُهم يبتدرون خِطَامَ النَّاقةِ . فقال : دَعُوها فانّها مأمورةٌ . ثم مر بدار بني سَاعِدَةَ فتلقَّاه رجال و فيهم سَعْدُ بن عُبَادَةَ و المُنْذِرُ بْنُ عَمْرٍو و دَعَوْهُ كذلك و قال لهم مثـلَ ما قال للآخَرِينَ ثم إلى دار بني حارثَةَ بْنِ الخَزْرَجِ فتلقَّاه سَعْدُ بن الرَّبيع و خارِجَةُ بْنُ زَيْدٍ و عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ ثم مَرَّ بِبَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ أخْوَالِ عبد المُطَّلِبِ ففعلوا و قال لهم مثلَ ذلك إلى أن أتىَ إلى دار بَنِي مالِكِ بن النَّجَّارِ فبَرَكَتْ ناقتُه عـلى باب مَسْجِدِه الْيَوْمَ و هو يَوْمَئِذٍ لغُلَامَيْنِ منهم في حَجْرِ مُعَاذِ بْنِ عَفْرَاءَ اسمُهما سَهْلٌ و سُهَيْلٌ و فيه خَرِبٌ و نَخْلٌ و قُبُورٌ للشركين و مِرْبَدٌ ثم بركت الناقـة و بقى على ظهرها و لم ينزل فقامت و مشت غيرَ بعيدٍ و لم يَثْنِهَا ثم الْتَفَتَتْ خَلْفَهَا و رجعت إلى مكانِها الأَوَّلِ فبرَكَتْ فيه و اسـتقرّت و نزل رسول الله صلى الله عليه و سلم عنها و حملَ أبو أيوُّبَ رَحْلَه إلى داره

فنَزَلَ عليه و سألَ عن المِرْبَدِ و أراد أنْ يتَّخِذه مَسْجِدًا فاشتراه من بني النَجَّار بعدَ أن وهَبُوه إيَّاه فأبَى من قبوله ثم أمر بالقبور فنُبِشَتْ و بالنَّخْلِ فقُطِعَتْ و بنى المسجدَ باللَّبِنِ و جعل عُضَادَتَيْهِ الحِجَارَةَ و سَوَارِيَهُ جُذُوعَ النَّخْلِ و سَقْفَهُ الجَرِيدَ و عَمِلَ فيه المسلمون حِسْبَةً لله عَزَّ وجلَّ .

٥١

تَعَفُّفُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ

كان أعْدَلَ بني مَرْوَانَ سيدُنا عمرُ بْنُ عبد العزيزِ . وهو ابنُ مروانَ بْنِ الْحَكَمِ وُلد سنةَ سِتِّينَ من الهِجْرَةِ حينَ كان أبوه واليًا على مصرَ . وكان له بِجَدِّهِ الفَارُوقِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ . ما أخَذَ لنفسه و لا لأولاده من بيتِ المالِ شيئًا . وكان إذا قَدِمَ عليه وفود الشُّعَرَاء لم يَأْذَنْ لَهُمْ . و كان يقول لأَبْنِهِ : قُلْ لهم : إني أخاف إن عصيتُ ربِّى عذابَ يومٍ عظيمٍ . و مات عن اثْنَيْ عشر غلاما لم يتْرُكْ لهم شيئًا . و لما حضَرَتْهُ الوَفَاةُ جمعهم وجعل يُصَوِّبُ نظره فيهم و يُصَعِّدُهُ حتّى اغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ بالدُّمُوعِ ثم قال : بنَفْسِي فِتْيَةً تركتُهم و لا مَالَ لهم . يا بَنِيَّ إنّى خَيَّرْتُ نفسى بين أن تفتقروا إلى آخر الأَبَد و بين أن يدخُلَ أبوكُمُ النّار فاخترتُ الأوّلَ . يا بَنِيَّ عصَمَكم الله و رزقكم . و قد وَكَلْتُ أمرَكُمْ إلى الله الذى نَزَّلَ الكتابَ و هو يتولَّى الصالحينَ .

وكان عندَه وَقْتَئِذٍ مَسْلَمَةُ بنُ عبد المَلِكِ فوهبه أربعين ألفًا ليفرِّقَها على أولاده وقال له : عَنْ طِيبِ نَفْسٍ فعلتُ . فقال رضى الله عنه : أُوصِيكَ أن تُفَرِّقَهَا على من أُخِذَتْ منهم ظُلما . فقال مَسْلَمَةُ : لقد جمعتَ علينا قلوبا متفرِّقةً وجعلتَ لنا فى الصالحين ذكرًا . ثم تُوُفِّىَ رحمه الله سنة مائةٍ وواحِدةٍ هِجْرِيَّةٍ . ومكثَ فى الخلافةِ سنتَيْنِ وخمسةَ أَشهُرٍ . كان فيها مُتَحَرِّيًا سيرَةَ الخُلَفاء الراشدين .

٥٢

سُلطَانُ الحقِّ يَقْهَرُ سلطانَ المُلْكِ

رُوِىَ عن مالكِ بْنِ أَنسٍ رضى الله عنه قال : بعث إِلَىَّ أبو جَعْفَرٍ المَنْصُورُ وإِلى طَاوُسٍ فدخلنا عليه وهو جالسٌ على فُرُشٍ قد نُضِدَتْ له وبين يديه أَنْطَاعٌ قد بُسِطَت وجُلَّادٌ بأيديهمُ السيُوفُ لضربِ رقاب النَّاسِ فأَوْمَأَ إِلينا بالجلوس وأَطْرَقَ عنا طويلا . ثم التفت إِلى ابن طاوس فقال له : حَدِّثْنِى عن أبيك ! قال : نعم . سمعتُ أَبِى يقول : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : إِنّ أشدَّ الناس عذابا يوم القيامة رجلٌ أشركَهُ اللهُ فى حُكْمِهِ فأَدخَلَ عليه الجَوْرَ فى عدْلِهِ . قال مالك : فضَمَمْتُ ثِيَابِى مخافة أن يملأَنى دَمُهُ . ثم التفت إِليه أبو جَعفرٍ فقال : عِظْنِى يا ابْنَ طَاوُسٍ : قال : نعم . أما سمعتَ الله يقول : أَلم تَرَ كيف فعل ربُّك بعادٍ — إِلى قوله — : الذين

طَغَوْا فى البلادِ فأَكْثَرُوا فيها الفسادَ فَصَبَّ عليهم ربُّكَ سَوْطَ عذابٍ إنَّ رَبَّك لبِالمِرْصَاد . قال مالك : فضَمَمْتُ ثيابي أيضًا مخافةَ أن يملأني دَمُه . فأمْسَكَ المنصورُ ساعةً ثم قال : يا ابنَ طاوسٍ ناوِلْنِي الدَّوَاةَ . فأمسك ابنُ طَاوُسٍ ولم يناوِلْه إيَّاها وهي في يده . فقال : ما يمنعك أن تناولنيها ؟ قال : أخشى أن تكتب بها مَعْصِيَةً لِله فأكونَ شريكَك فيها . فلما سمع المنصورُ ذلك قال : قومَا عَنِّي . قال ابن طاوسٍ : ذلكَ ما كُنَّا نَبْغِي . قال مالك : فما زِلْتُ أَعْرِفُ لابْن طاوسٍ بعدَها فضله .

٥٢

قصَّةُ الرَّضيعِ والسلطانِ صَلاحِ الدِّينِ

من سيرةِ صلاحِ الدين للقاضى ابنِ شَدَّادٍ

إنّه كان للسلمين لُصُوصٌ يدخلون إلى خِيَام العَدُوِّ فيسْرِقون منهم الرجالَ وكان من قِصَّتِهم أنهم أخذوا ذاتَ ليلةٍ طفلا رَضِيعًا له ثلاثةُ أشهرٍ . وساروا به حتّى أَتَوْا إلى خَيْمَةِ السلطانِ وعرضوه عليه . وكان كل ما يأخذونه يَعْرِضونه عليه ويُعطيهم ما أَخذوه ولما فقدته أُمه باتت مستغيثةً بالوَيْلِ والثُّبُور طولَ الليل حتّى وصل خَبَرُها الى ملوكهم . فقالوا : إنه رحيم القلب وقد أَذِنَّا لك بالخروج . فاخرُجى واطلبيه منه فانه يردُّهُ عليكِ . فخرجت تستغيث إلى الحَرَسِ فأخبرَتهم

بواقِعَتِها . فأطلقوها و أَنْفَذُوها إلى السلطان فاقِيَتْه وهو راكب و أَنا في خدمته و في خدمته خلق عظيم . فبكَتْ بُكاءً شديداً و مَرَّغَتْ وجهَهَا في التُّرَابِ . فسأل عن قِصَّتِها فأخبروه فَرَقَّ لها و دمعت عينُه و أَمر باحضار الرضيع فوجدوه قد بيع في السوق فارتَدَّهُ و أَمر بدفع ثمنه إلى المُشتَرِي و أَخذه منه . و لم يزل واقفا حتى أُحضِرَ الطفلُ و سُلِّمَ إليها . فأخذَتْه وبكت بكاء شديدا و ضمَّته إلى صَدْرها و الناس ينظرون إليها و يبكون و أَنا واقف في جُملَتِهم فأَرْضَعَتْه ساعةً . ثم أَمر لها فَحُمِلَتْ على فرس و أُلحِقَت بعسكرهم مع طفلها . فانْظُر إلى هـذه الرحمة الشامله لِجنْسِ البشر . اللّٰهُمَّ إنّك خلقتَه رحيماً فارْحَمْه رحمةً من عندك يا ذا الجلال و الاكرام ! و انْظُرْ إلى شهادةِ الأعداء له بالرَّأْفةِ والكَرَمِ .

و مَلِيحَةٍ شَهِدَتْ لها ضَرَّاتُها والحُسْنُ ليس لِحَقِّه من مُنْكِرِ

٥٤

أَوَّلُ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا النبيُّ صلعم بمَكَّةَ حينَ دعا قومَه إلى الاسلام

قال بعد أَن حَمِدَ الله و أَثنى عليه :

إنّ الرّائدَ لا يَكْذِبُ أَهلَه . و اللهِ لو كذبْتُ النَّاسَ ما كذبْتُكم . ولو غَرَرْتُ الناس ما غَرَرْتُكم . والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم حقّاً . و إلى الناس كافَّةً والله لتموتُنَّ كما تنامون

و لتُبْعَثُنَّ كما تَستَيقِظُون . و لتُحَاسَبُنَّ بما تعملون و لتُجزَوُنَّ بالاحسانِ اِحساناً و بالسُّوءِ سوءًا . و اِنَّها لَلْجَنَّةُ أَبدًا أَو النار أَبدا و إِنكم لَأَوَّلُ من أُنْذِرَ بينَ يدَىْ عذابٍ شديد .

٥٥

بَعضُ الأَحَادِيثِ النَبوِيَّةِ

لا يؤمِنُ أَحدُكُمْ حتّى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسِه . المُسْلِمُ من سَلِمَ المسلمون من لسانِه و يَدِه و المؤمِنُ من أَمِنَه الناسُ على دِمَائِهم و أَموالِهم . مَنْ لا يَشْكُرُ الناسَ لا يشكر اللّهَ . لا حَسَدَ اِلاّ فى اثنتين : رَجُلٍ آتاه اللّهُ الحِكْمَةَ فهو يَقضِي بها و يُعَلِّمُها و رجلٍ آتاه الله مالا فسَلَّطَه على هَلَكَتِه فى الحقّ . يَهرَمُ ابنُ آدَمَ و يَشِبُّ فيه اثنتان : الحِرْصُ على المالِ و الحرص على العُمُرِ . اِنَّ مِن أَحَبِّكُمْ إِلىّ و أَقربِكم منّى مَجلِسًا يومَ القيامة أَحاسِنُكُمْ أَخلاقًا و إِنّ أَبْغَضَكُمْ إِلىّ و أَبعدَكم منّى مجلسا يوم القيامةِ الثَّرْثارونَ و المُتَشَدِّقون و المُتَفَيهِقُونَ قالوا : يا رسولَ الله ، ما المُتَفَيْهِقُون ؟ قال : المتكبّرون . كُلُّكم راعٍ و كلكم مسؤولٌ عن رعيّته ، و الرَّجُلُ راعٍ فى أَهله و هو مسؤول عن رعيته ، و المرأَةُ فى بَيْتِ زَوْجِها راعيةٌ و هى مسؤولةٌ عن رعيَّتِها ، و الخادمُ فى مال سيّدِه راع و هو مسؤولٌ عن رعيَّتِه .

بَيْنَما رجلٌ يمشى بطريقٍ اشتدّ عليه العَطَشُ فوجَدَ بئرا فنزل فيها فشَـرِبَ ثم خرج و إذا كَلْبٌ يلْهَثُ يأكل الثَّرَى من العطش، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلبَ من العطش مثل الذى كان بَلَـغَ منّى فنزلَ البئرَ فملَأَ خُفَّهُ ماءً ثم أمْسَكَه بِفِيهِ حتّى يَرْقىَ فسَقَى الكلبَ فشكر اللهُ تعالى له فغفر له .

من يُحْرَم الرِّفْقَ يُحرم الخيرَ كلَّه . خيرُ الصَّدَقَةِ ما كان عن ظَهْرِغِنًى و ابْدَأْ بمَن تَعُولُ . إذا كانوا ثلاثةً فلا يتناجى اثنان دونَ الثّالث فان ذلك يُحْزِنه . القُضَاةُ ثلاثةٌ : واحدٌ فى الجنّةِ و اثنان فى النار فاما الذى فى الجنة فرجلٌ عرف الحقَّ فقضى به و رجلٌ عرف الحقَّ و جار فى الحكم فهو فى النار، و رجلٌ قضى للناس على جهلٍ فهو فى النار . لَأَنْ يأْخُـذَ أحدُكم أحْبُلَهُ ثم يأْتىَ الجبلَ فيأْتىَ بحُزْمَةٍ على ظهره فيبيعَها خيرٌ له من أن يسأَل الناسَ أعْطَوْهُ أو مَنَعُوهُ .

٥٦

حَجَّةُ الْوَدَاعِ

من تاريخ ابنِ خَلْدُونَ

ثمّ خرج النبىُّ صلى الله عليه وسلم إلى حجّة الوداع فى خمس ليالٍ بقِينَ من ذى القَعْدَةِ ومعه من أشرافِ الناس . و دخلَ مكةَ يومَ الأحدِ لأربعٍ خلونَ من ذى الحِجَّةِ . ولقِيَه علىُّ بنُ أبى طالب

بصدقاتِ نجرانَ فحجّ معه . و علّمَ صلى الله عليه و سلم الناسَ مناسِكَهُم و خطبَ الناسَ بعرفة خُطبتَه التى بيّنَ فيها ما بيّنَ : حمِدَ الله و أثنى عليه ثم قال : أيُّها الناسُ اسمعوا قولِى فانى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا المَوْقِفِ أبدا . أيها الناس إنّ دماءَكم و أموالكم عليكم حرامٌ إلى أن تلقَوْا ربكم كحرمة يومكم هذا وحرمة شهركم هذا . و ستلقَوْنَ ربكم فيسأَلكم عن أعمالكم و قد بلّغت فمن كان عنده أمانةٌ فليُؤَدِّها إلى من ائتمَنَه عليها . و إنْ كان رِبًا فهو موضوعٌ و لكم رُؤُسُ أموالكم لا تَظلِمُون ولا تُظلَمُونَ . أيها الناس إنّ الشيطان قد يَئِسَ أن يُعبَدَ بأَرضِكم هـذه أبدًا و لكنّه رَضِىَ أن يُطاعَ فيما سِوَى ذلك مما تُحقِّرُونَ من أعمالكم فاحذَروه على دينكم . أمّا بعدُ أيها الناس فان لكم على نسائكم حقا ولهن عليكم حقا . و استَوْصُوا بالنِّساء خيرا . فاعقِلُوا أيها الناس و اسمعوا قولى فانى قد بلّغتُ قولى و تركتُ فيكم ما إنِ استعصمتم به فلن تضلوا أبدًا : كتابَ الله و سُنّةَ نبيِّه . أيها الناس اسمعوا قولى و اعلموا أنّ كلَّ مسلمٍ أخو المسلم و أنّ المسلمين إِخوَةٌ فلا يحِلُّ لامْرِءٍ من مال أخيه إلا ما أَعطاه إيّاه عن طيبِ نفسٍ فلا تظلموا أنفُسَكم ألا هَلْ بلّغتُ . فذُكِرَ أنّهم قالوا : اللهمّ نعَمْ . فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : اللهم اشْهَدْ . وكانت هذه الحَجّةُ تُسَمّى حَجّةَ البَلاغ و حجة الوداع لانه لم يحج بعدها . ثم انصرف إلى المدينة فى بَقِيَّةِ ذِى الحِجّةِ من العاشِرَةِ .

٥٧

﴿ خُطْبَةُ عُمَرَ حينَ وُلِّيَ الخِلَافَةَ ﴾

صَعِدَ المِنْبَرَ فحمِدَ الله و أَثْنى عليه ثم قال :

يا أيّها الناسُ إنِّي داعٍ فأَمِّنوا ، اللهم إني غليظ فَلَيِّنِّي لأهل طاعتك بموافقة الحقّ ابتغاءَ وجهك و الدّارِ الآخرةِ ، و ارْزُقْني الغِلْظةَ و الشدّةَ على أَعدائك و أَهل الدَّعارة و النِّفاق من غير ظلم منّي لهم ولاَ اعْتداءٍ عليهم . اللهم إني شَحِيحٌ فَسَخِّنِي في نوائبِ المعروف قَصْداً مِنْ غير سَرَفٍ و لا رِياءٍ و لا سُمْعَةٍ . و اجْعَلْني أَبتغي بذلك وجهَك و الدارَ الآخرة ، اللهم ارزقني خَفْضَ الجَنَاحِ و لِينَ الجانب للمؤمنين ، اللهم إني كثير الغفلة و النِّسْيان فألهِمْني ذكرَكَ على كل حالٍ و ذكرَ الموت في كل حينٍ . اللهم إني ضعيف عند العمل بطاعتك فارزقني النَّشاطَ فيها و القوة عليها .

٥٨

﴿ تَوَاضُعُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴾

بَلَغَ عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه أَنّ قوما يُفَضِّلونه على أَبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه فوَثَبَ مُغْضَبا حتّى صعد المنبر فحمد الله و أَثنى عليه و صلّى على نبيّه صلى الله عليه و سلم ثم قال : أَيها الناسُ إنّي سأُخْبركم عنّي و عن أَبي بكر . إنه لما تُوُفِّيَ رسول الله صلى الله

عليه وسلم ارْتَدَّت العرب ومَنَعَتْ شَاتَها و بَعِيرَها وأَجْمَعَ رأْيُنَا كُلِّنا أَصحَابَ محمدٍ صلى الله عليه وسلم أن قُلنا له يا خليفةَ رسول الله إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُقاتِل العربَ بالوحى و الملائكةِ يُمِدُّهُ اللهُ بهم وقد انقطع ذلك اليومَ فالْزَمْ بيتك ومسجدَك فانه لا طَاقةَ لك بقتال العرب فقال أبو بكر الصِّدِيقُ: أوَ كُلُّكم رأْيُه على هــذا ؟ فقلنا: نعم. فقال: والله لأنْ خِرَّ من السماء فَتَخَطَّفَنِي الطيرُ أَحبُّ إِلَيّ من أن يكونَ هذا رأْيي. ثم صعد المنبر فحمد الله وكبّره وصلىّ على نبيّه صلىّ الله عليه وسلم ثم أَقْبَلَ على الناس فقال: أيها الناس من كان يعبُد محمداً فانّ محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت. أَيها الناس أَإن كَثُرَ أَعداؤكم وقلّ عدَدُكم ركِبَ الشيطان منكم هذا المَرْكَبَ[1]. واللهِ ليُظْهِرَنَّ الله هذا الدينَ على الأديان كلِّها ولو كَرِهَ المشركون. قولُهُ الحَقُّ ووعدُهُ الصدقُ. بل نَقْذِفُ بالحَقِّ على الباطل فيدمغُه فاذا هو زاهقٌ. وكم من فِئَةٍ قليلةٍ غلبَتْ فِئَةً كثيرة بإِذْنِ الله والله مع الصابرين. واللهِ أَيها الناس لو أُفْرِدْتُ مِن جميعكم لجاهدتُهُم فى الله حقَّ جهاده حتّى أُبلِيَ بنَفْسى عُذْرًا أَو أُقْتَلَ قتلا. والله أَيها الناس لو منعونى عِقَالا لجاهَدْتُهم واسْتَعَنْتُ عليهم اللهَ وهو خيرُ مُعِينٍ. ثم نزل فجاهَـدَ فى الله حقَّ جهاده حتّى أَذْعَنَتِ العربُ بالحقّ.

[1]) Zar će vas satana ovako zavesti (zajahati) stoga što je vaših neprijatelja mnogo, a vas malo!

خطبة طارقِ بن زِيادٍ قبلَ فتوح الأَنْدَلُسِ

لما بلغ طارقًا دُنُوُّ لُذَرِيقَ قام فى أَصحابه فحمد الله و أَثنى عليه بما هو أَهله ثم حَثَّ المسلمين على الجهاد و رغَّبهم ثم قال : أَيها الناس ! أَينَ المَفَرُّ ؟ البحرُ مِن ورائكم و العدو أَمامكم و ليس لكم و الله إِلا الصِّدقُ و الصبرُ و اعلموا أَنكم فى هذه الجزيرةِ أَضْيَعُ مِن الأَيْتامِ فى مَأْدُبَةِ اللِّئَامِ و قد استقبلكم عدوُّكم بجيْشِه و أَسلحتِه و أَقواتُه موفورةٌ و أَنتم لا وَزَرَ لكم إِلا سُيُوفكم و لا أَقواتَ إِلاّ ما تَسْتَخْلِصُونَه من أَيْدِي عدوِّكم . و إِنِ امتدّت بكم الأَيَّامُ على افتقاركم و لم تُنْجِزوا لكم أَمرًا ذَهَبَ رِيحُكم و تَعَوَّضتِ القلوبُ من رُعْبِها منكم الجُرْأَةَ عليكم فادْفَعُوا عن أَنفسكم خِذْلاَنَ هذه العاقبة من أَمركم بمناجزةِ هذا الطاغِيَةِ [1] فقد أَلْقَتْ به إِليكم مدينتُه الحَصِينَةُ و إِنّ انتهازَ الفرصةِ فيه لمُمْكِنٌ إِن سَمَحْتُم لأَنفسكم بالموت . و إِنىّ لَمْ أُحذِّركم أَمرًا أَنا عنه بنَجْوَةٍ و لا حملتكم على خُطَّةٍ أَرْخصُ متاعٍ فيها النُّفوسُ إِلاّ أَبْدَأُ بنفسى . و اعلموا أَنكم إِن صبرتم على الأَشقِّ قليلا استمتعتم بالأَرْفَهِ الأَلَذِّ طويلا . فلا ترْغَبُوا بأَنفسكم عن نفسى [2] فما حَظُّكم فيه بأَوْفَرَ مِنْ حظِّى . و اللهُ تعالى وَلِيُّ إِنْجادكم على ما يكون لكم ذكرا فى

[1]) Stupanjem u borbu sa ovim silnikom sačuvajte-sebe, da konačno ne ostanete na cjedilu u ovom vašem poduzeću.

[2]) Ne pretpostavljajte svoj život mome!

الدارين . واعلموا أنى أول مجيبٍ إلى ما دعوتُكم إليه• و إنىّ عند مُلْتَقى الجَمْعَيْنِ حاملٌ بنفسى على طاغيةِ القومِ لذَريق فقاتِلُه إن شاءَ الله تعالى فاحمِلُوا معى فإن هلكتُ بعدَه فقد كُفِيتُمْ أَمْرَه و لم يُعْوِزْكم بَطَلٌ عاقِل تُسْنِدون أُمُوركم إليه و إن هلكت قبلَ و صولى إليه فاْخلُفُونى فى عزيمتى هذه و احمِلوا بأنفسكم عليه و اكتَفُوا الْهَمَّ من فتحِ هذه الجزيرةِ بقتاله .

٦٠

خُطْبَةُ قُسّ بْنِ سَاعِدَةَ الْإِيَادِيّ

يا أيها الناس ! اُسمَعُوا و عُوا ، و إذا وَعَيْتُمْ فانتفعوا ، إنّه من عاشَ ماتَ ، و من مات فاتَ ، وكلُّ ما هو آتٍ آتٍ ، مَطَرٌ و نباتٌ ، و أَرزاقٌ و أَقواتٌ ، وآباءٌ و أُمّهات ، و أَحياءٌ و أموات ، جَمْعٌ و أَشتات ، و آياتٌ بعدَ آيات ، إنّ فى السماء لَخَبَرًا ، و إن فى الأرض لعِبَرًا ، ليلٌ دَاجٍ ، و سماءٌ ذاتُ أَبراجٍ ، و أَرضٌ ذاتُ فِجَاجٍ ، و بِحَارٌ ذاتُ أَمواجٍ . مَالىِ أَرَى الناسَ يذهبون و لا يرجعون ? أَ رَضُوا بالمُقَام فأَقَاموا ، أَم تُرِكوا هناك فنامُوا ?! أَقْسَمَ قُسٌّ قَسَمًا حَقًّا لا خائنا فيه و لا آثِمًا ، إنَّ لِلّهَ دينا هو أَحب إليه من دينكم الذى أَنتم عليه و نبيّا قد حانَ حِينُه و أَظَلَّكم أَوانهُ و أَدرككم إبَّانُه . فطُوبىَ لمن أَدركه فآمن به و هَدَاهُ ! و وَيلٌ لمن خالفَه وعَصاه ! ثم قَال : تبًّا

لأَرْبَابِ الغَفْلَةِ ، و الأُمَمِ الخالية ، و القرونِ الماضيةِ ! يا مَعْشرَ إِيَادٍ !
أَيْنَ الآبَاءُ و الأجداد ، و أَيْنَ المريضُ و العُوَّاد ، و أَيْنَ الفَرَاعِنَةُ الشّداد ،
أَيْنَ من بنى و شَيَّدَ ، و زَخْرَفَ و نَجَّدَ ، أَيْنَ المالُ و الولد ، أَيْنَ من
بَغَىَ و طَغَىَ ، و جَمَعَ فأَوْعَى و قال أنا ربُّكم الأعلى ؟ أَلَمْ يكونوا
أَكْثَرَ منكم أَموالا ، و أَطولَ منكم آجالا ؟ طَحَنَهم الثَّرَى بكَلْكَلِهِ ،
و مَزَّقَهُمْ بطَوْلِهِ ، فتلك عِظَامُهُم باليةٌ ، و بيوتُهم خالية ، عَمَرَتْها الذئابُ
العاوية ، كَلَّا ، بَلْ هُوَ اللهُ الواحد ، ليس بوالدٍ و لا مولود . ثم
أَنشأَ يقول :

في الذاهبـين الأوَّلـيـنَ من القرون لنا بَصَائِرْ
لمَّا رأَيتُ مَوَارِدًا للموتِ ليسَ لها مصادِرْ
و رأَيتُ قومى نحوَها يَمْضِى الأصاغرُ و الأكابرْ
لا يرجعُ الماضى إلَىَّ و لاَ مِنَ الباقين غابِرْ
أَيْقَنْتُ أَنّىِ لا محا .... لَةَ حيث صار القومُ صائِرْ

٦١

اللُّغَةُ العربيَّةُ و علومُها

اللُّغَةُ أَلفاظٌ يُعَبِّر بها كلُّ قومٍ عن مقاصدهم . و اللغات
كثيرةٌ و هى مختلفةٌ من حَيْثُ اللفظُ متحدة من حيثُ المعنى أَىْ إِنَّ
المعنى الواحدَ الذى يخالجُ ضمائرَ الناس واحدٌ و لكنّ كلَّ قوم يعبرون
عنه بلفظٍ غير لفظِ الآخَرينَ .

و اللغة العربيةُ هى الكلماتُ التى يعبّر بها العربُ عن أَغراضهم . و قد وصلت إِلينا من طريق النَّقْلِ و حفظها لنا القرآنُ الكريمُ و الأحاديث الشريفة و ما رواه الثِّقَاتُ من منثور العرب و منظومهم .

و لمّا خَشِيَ أَهلُ العربية من ضَيَاعها بعدَ أَنِ اخْتلطوا بالأعاجم دَوَّنوا مفرداتِها فى القَوَامِيسِ و جَعَلوا لها أُصولا و قواعِدَ تحفظها من الخطأِ فصارت بذلك علوما تُدَرَّسُ وفنونا تُقْرأ و تُسَمَّى هذ العلوم العلومَ العربية .

فالعلومُ العربية هى العلوم التى يُتَوَصَّل بها إلى عصمة اللسان و القلم عن الخطأِ و هى ثلاثةَ عشرَ علما : الصرفُ، والنحو، و الرَّسْمُ، و المَعَانى، و البيان، و البَدِيعُ، و العَرُوض، و القَوَافى، و قَرْضُ الشِّعْر، و الانشاء، و الخطَابَةُ، و تاريخ الأَدَب، و مَتْنُ اللغة . و أَهَمُّ هذه العلومِ الصرف و النحو .

و للكلمات العربية حالتان، حالةُ إِفراد و حالة تركيب . فالبحثُ عنها و هى مفُردة لتكون على وزنٍ خاصٍّ وهَيْئَةٍ خاصّة هو من موضوع علم الصرف . و البحث عنهَا و هى مركبة مع غيرها ليكون آخرها على ما يقتضيه مَنْهَجُ العربِ فى كلامهم من رَفْعٍ أَو نَصْبٍ أَو جَرٍّ أَو جَزْمٍ أَو بقاءٍ على حالةٍ من غيرِ تغير هو من موضوع علم النحو .

فالصرف علم نعرف به ما يجب أَن تكون عليه بِنْيَةُ الكلمة قبلَ انتظامِها فى الْجُمْلة . و النحو علمٌ نَعْرِفُ به ما يَجِبُ أَن يكون عليه آخِرُ الكلمةِ بعدَ انتظامِها فى الجملةِ .

٦٢

الخليلُ بنُ أَحمدَ

١٠٠ – ١٧٤ هـ * ٧١٩ – ٧٩١ م

هو الخليلُ بن أَحمدَ البصرىّ الفراهيدى إمام العربية و سيِّد أَهل الأدب قَاطِبَةً و هو أَولُ مَن دَوَّنَ اللغة العربية و جمعها فى كتاب واحد . و كتابه هذا يُسَمَّى كتابَ العين لأنَّ أَوّلَ حَرْف فيه حرف العين . و هو أَول من استنبط علم العَرُوض و أَخرجه إلى الوجود . و كان له معرفةٌ بالإِيقَاعِ و النَّغَمِ . و تلك المعرفة أَحدثت له علم العروض فانهما متقاربان جِدًّا . و قيل إِنه مر يوما بسوق الصفَّارِين فسمع دَقْدَقَةَ مطارقهم على الطُّسُوتِ فأَدَّاه ذلك إلى تقطيع أبيات الشِّعر وفُتح عليه بعلم العروض . و كان الخليل رجلا صالحا عاقلا حليما ذكيًّا و اتفق العلماء على جلالته و فضائله و تقدُّمه فى علوم العربية .

٦٣

سِيبَوَيْهِ

١٢١ – ١٦١ هـ * ٧٤٠ – ٧٧٩ م

هو أَبو بِشْرٍ عمرُو الحارثيّ و سيبويه لقبٌ بالفارسيَّة معناه رائحة التُفَّاحِ . و كان من أَهل فارِسَ و مَنْشَأُهُ بالبَصْرَةِ . و كان أَعلم المتقدّمين و المتأَخرين بالنحو . كان أَخذه عن الخليل و لم يوُضَعْ فيه مثلُ كتابِهِ . قال الجاحِظُ : أَردتُ الخروج إِلى محمدِ بن عبد الملك ففكَّرت فى شئ أُهديه له فلم أَجد شيئًا أَشرف من كتاب سيبويهِ . فقال : و الله ما أَهديتَ إِلىّ شيئًا أَحبّ إِلىّ منه . و كان يُقال بالبصرةِ : قَرَأَ فُلَان الكتابَ فيُعْلَم أَنه كتاب سِيبَوَيْهِ . وكان أَبو عثمانَ المازِنِىُّ يقول : من أَراد أَن يعمل كتابا كبيرا فى النحو بعد كتاب سيبويه فَلْيَسْتَحِ . و تُوُفِّىَ سيبويه بقريةٍ من قُرَى شِيرَازَ .

٦٤

اَلْأَصْمَعِىُّ

هو أَبو سعيد عبد الملك الباهِلِىُّ من أَبْنَاء عَدْنَانَ . و كان عالما عارفا بأَشعار العرب و آثارها كثيرَ التطوّف فى البوادى لاقتباسِ علومِها و تَلَقِّى أَخبارِها . فهو صاحبُ غرائب الأَشعار و عجائب الأَخبار و قُدْوَة الفضلاء و قِبْلَةُ الأَدباء . قدِ استولى على الغايات فى حفظ اللغات و ضَبْط العلوم الأَدبيَّاتِ . صاحبُ دينٍ متين و عقل

رصينٍ و كان خاصًّا بالرَّشيد آخِذًا لصِلَاتِهِ و له تَصَانِيفُ كثيرةٌ .
و كان هرونُ الرشيدُ قد استخلصه لمجلسه و عُمِّرَ نَيِّفًا و تسعين سنةً .
و رثاه الحسن بن مالك :

لا دَرَّ دَرُّ نَباتِ الأرض إذ فُجِعت بالأصمعىِّ لقد أَبْقَتْ لنا أَسَفا
عِشْ ما بَدَا لَكَ فى الدنيا فلَسْتَ تَرَى فى الناس مِنْه و لا فى علمه خَلَفا

٦٥

الجامع الأَزْهَرُ

لمَّا فتح مصرَ القائـدُ جَوْهَرٌ باسم المُعِزِّ لدين الله الفاطمىّ أَنشأَ فى الثُّلُث الأخير من القرن الرابع للهجرة مدينةً شِمَالَ الفُسْطَاط مدينةِ عَمْرِو بن العاصِ و أَسّس فيها مَسْجِدًا يفوق مسجدَ عَمْرٍو اتّساعًا و عَظَمَةً ليُحَوِّل السكّان بذلك العمل إلى مدينته الجديدةِ . و أَنشأَ فيه مدرسةً يَؤُمُّها الطُلّابُ من كُلِّ البلاد يتلَقَّوْن علومَ اللغة و علومَ الدين .

أَخَذَ هذا المسجد من ذلك الحين يزداد عِمَارَةً و فخامةً بتَوَالِى ملوكِ مصرَ و أُمرائهم و كلهم يُضيف إلى بنائه أَو يَحْبِس عليه أَوقَافًا تقوم بنفقته . و بنيت فيه أَرْوِقَةٌ خاصّة بكل قبيل من الناس يقيمون فيها لِكَىْ ينقطعوا لطلب العلم . و مازال يعلو مقامُه و يَنْبُو صيتُه و يزيد طُلاّبه إلى أَنْ أَضحى أَكبرَ مدرسة جامعة إسلامية تُعَلَّمُ فيه سائر العلوم الدينية و الدنيوية حتى المُوسِيقَى كانت تُعَلَّم فيه فى الزمان الماضى .

ولم يكن طلب العلم بالأزهر مقصورا على المصريين وَحْدَهم بل كان مباحا للمسلمين القادمين إليه من كل بقاع الأرض تكفلهم الأوقافُ الكثيرةُ التى حُبست عليه وما زال كذلك بين ارتقاء وانحطاط حتّى جاء مُحَمَّدُ عَلِيٍّ بَاشَا والى مصر. وأَمَّنَ البلاد وأراح النّاس من الفساد فأخذ الأزهر يستعيد زَهْوَه ومَقَامَهُ وأصبح عددُ طلابه فى هذه الأيام أكثر من عشرة آلافِ نفس. وتَخَرَّج فيه علماء عاملون نشروا الفضل والحكمة فى جميع الأقطار الاسلامية.

٦٦

الأَهْرَامُ

كان المصريون القدماء أَمْهَرَ أهل الأرض فى صناعاتهم وأعمالهم حتّى إنَّ كثيرا منها لا تزال طريقة عمله سرًّا غامضا إلى الآنَ. ومن ذلك الأهرام الكثيرة التى بَنَوْها فى كثيرٍ من الجهات فإنّها آيَةٌ فى إتقان الصنعة وفى الضَّخامة.

وأهمُّ هذه الأبنية أهرام الجيزَةِ الثلاثةُ العِظام. بنى أكبرها الملكُ خُوفُو منذ أكثر من خمسة آلاف سنة. وهو هو لم يُبْلِه مرور هذه الآلاف من السنين وكان مُجَصَّصا ومَطْلِيّا بدِهانٍ أملسَ منقوشٍ عليه صُوَرٌ وكتابات من كتابتهم الرسْمِيَّة.

والسبب فى إقامة هذه الأهرام العظيمة أنهم كانوا يعتقدون أن الأرواح تعود إلى أجسامها يوم القيامة فكانوا يحفظون الأجسام

بمهارة عظيمة و يضعونها فى هـذه الأماكن . حتّى إذا قامت القيامة وَجدت كل روح جسمَها باقيا فتدخُله لتُعِيدَ إليه الحياةَ .

و الأحجار التى بُنيت منها هـذه الأهرام كبيرة الحَجْمِ عظيمة الثِّقَلِ . لا يستطيع عشرة رجال حملَ الواحد منها . و كانوا يقتطعونها من جبال المُقَطَّمِ و يُنْشِؤُنَ حَدُورا من الرَّمْل بين الجبل و مكان البناء و يُزْلِقونها عليه ثمّ يرفعونها بِرَوَافِعَ آلِيَّةٍ و يُثَبِّتُونها فى موضعها .

و فى هَرَم الجِيزَة الأكبر جملةُ غُرَف . بعضُها صغير و بعضها كبير . و فى وَسَطه بئر عميقة يقال إنهم كانوا يتخذونها مِزْوَلَةً يعرفون بها الزمن .

٦٧

العَنـكَبُوتُ و الذُّبابة

العنكبوت: إنىّ أرى طائرا فى الجوّ مرتفعا | له طَنين يُحاكى أحسَنَ النَّغَمِ
هذِى الذبابة قد جاءت تُؤَانِسُنا | أهلا وسهلا بمن أهوَى من القِدَمِ
الذبابة : ما ذا تُريد بتَرْحيب قصدتَ به | إيذاءَ شخص يوَدّ العيش فى سَلَمِ
إنى علمت بأن العنكبوت إذا | رأى الذبابةَ لم يَرْتح من القَرَمِ
العنكبوت: هذا كلام عدوٍّ كله حسدٌ | لا تسمعيه و كونى عنه فى صَمَمِ
لو تنظُرين لما هيأتُ من فُرُشٍ | و من طعام لسِرْتِ اليومَ بالقَدَمِ
الذبابة : لا لا أَجِئُ لدار انت تسكنها | علما بأنك تسعى أنْ تُريق دمِى
لا حاجةَ اليومَ تدعونى إلى نَظَرٍ | فى قلب بيتك فاتركنى و لا تَلُمِ

العنكبوت: بالعقل قد سُدْتَ والرأيِ السديدِ على كلّ البريَّةِ حتى صرت كالعلَم
رَقّ الجناحان و العينان أبرَقتا سُبحانَ ربّى كم أولاكِ من هِمَمِ
الذبابة: يا سيِّدى لك منّى الشكرُ خالصُهُ إذ فى مديحك هذا ألطفُ الكلمِ
هذى يدى أستميح العذر عن غضبٍ من سوء ظنّ قد يأتيك بالألم
العنكبوت: هاتى يديكِ فقد أفلحتُ فى حيلى أن آكُلَنَّكِ أكلَ الجائع النهِمِ
قد غرّكِ المدح منّى و انخدعتِ به فذُقتِ منه صنوف الحتف والعدَم
المغزى: إنْ تقبلِ المدح ممّن يستميلُكُ فى شرٍّ عضضتَ بنانَ الكفّ من ندمِ

٦٨

أُنَّةُ طِفلٍ ضَريرٍ

يا أمَّ ما شكل السماءِ و ما الضِّياء و ما القمر
بجمالها تتحدَّثو ن و لا أرى منها الأثر
هل هذه الدنيا ظلا مٌ فى ظلام مستمِر
يا أمَّ مُدِّى لى يديكِ عسى يزايلنى الضَّجر
أمشى أخاف تعثُّرًا وسط النهار أو السَّحر
لا أهتدى فى السَّيْر إنْ طالَ الطريق و إن قَصُر
فالنورُ عندى كالظَّلا مِ وَ الاِسْتطالةُ كالقِصَرْ
أمشى أُحاذر أنْ يُصا دِفَنى إذا أخطُو خَطَرْ
والأرضُ عندى يستوى منها البسائطُ و الحُفَرْ

عُكَّازَتى هِىَ ناظرى هل فى جمادٍ من بَصَرْ
يجرى الصغار و يلعبو٠٠٠٠نَ و يرتعونَ و لا ضَرَرْ
يتمتَّعون بما يرو٠٠٠٠ن من الجمال المُفْتَخَرْ
وَ أنَا ضَريرٌ قاعد فى عُقْرِ بيتِى مستقر
وَيلاهُ هل أقضى الحيا٠٠٠٠ة بغير عين أو نظر
ما ذا جنيت من الذُّنو٠٠٠٠بِ بها يعاكسنى القَدَر
يا أمّ ضاقَ بِىَ الفَضَا و مِن العَمَى قلبى انكسر
يا أمَّ ضُمِّينى إلَيْكِ فليس غيرُكِ من يَبَرّ
يا أمَّ لا تبكى عَلَىَّ رعاكِ من خلق البشر
اَللهُ يَلطُفُ بِى و يَصْرِفُ ما نُقَاسِى مِنْ كَدَرْ

٦٩

من رِحلَةِ ابْنِ بَطُوطَةَ

وصفُ الإسكَندَرِيَّةِ

ثمّ وصلنا فى أول جمادى الأولى مدينة الاسكندرية حرسها الله تعالى و هى الثغر المحروس، و القُطْر المأنوس، العجيبة الشان، الأصيلة البُنْيان، بها ما شئتَ من تحسين وتحصين، و مآثِرِ دنيا و دين. كرمت مغانيها، و لطُفت معانيها، و جمَعت بين الضخامة و الاِحكام مبانيها. فهى الفريدة تَجَلَّى سناها، و الخريدة تُجَلّىَّ فى حُلَاها. الزاهية بجمالها

الْمغرِب . الجامعة لمفترق المحاسن لتوسّطها بين المشرق و الْمَغْرِب فكل بديعة بها اجتلاؤها ، و كل طُرْفة فالَيْها انتهاءها ، و قد و صفها الناس فأطنبوا ، و صنَّفوا فى عجائبها فأَغْرَبُوا . وحسْبُ المُشرِف إلى ذلك ما سطره أبو عُبَيْدٍ فى كتاب المسالك .

﴿ ذِكْرُ أبوابها و مَرْسَاها ﴾

و لمدينة الاسكندرية أربعة أبواب : باب السِّدْرة و إليه يشرع طريق المغرب ، و باب الرشيد ، و باب البحر ، و الباب الأخضر و ليس يُفتح إلا يوم الجمعة فيخرج الناس منه إلى زيارة القبور و لها المَرْسَى العظيم الشان . و لم أر فى مراسى الدنيا مثله إلا ما كان مِن مرسى كُولَمَ و قَالِيقُوطَ ببلاد الهند و مَرْسَى الكفَّار بِسُوداقَ ببلاد الأتراك و مرسى الزيتون ببلاد الصِّينِ .

﴿ ذكر المَنَار ﴾

قصدتُ المنار فى هذه الوجهة فرأيت أحد جوانبه متهدّما . و صِفَته أَنه بناء مُرَبَّع ذاهب فى الهواء و بابه مرتفع على الأرض و إزاءَ بابه بناء بقدر ارتفاعه وُضعت بينهما ألواحُ خشبٍ يُعبر عليها إلى بابه فاذا أُزيلت لم يكن له سبيل . و داخلَ الباب موضع جلوس حارس المنار . و داخل المنار بيوت كثيرة . و عرض المَمَرّ بداخله تسعة أشبار و عرض المنار من كل جهة من جهاته الأربع

مائة و أربعون شبرا و هو على تَلٍّ مرتفع . و مسافة ما بينه و بين المدينة فرسخ و احد فى بَرٍّ مستطيل يحيط به البحر من ثلاث جهات إلى أن يتصل البحر بسور البلد فلا يمكن التوصل إلى المنار فى البَرّ إلا من المدينة . و فى هذا البر المتصل بالمنار مَقْبِرة الاسكندرية . و قصدت المنار عند عَوْدى إلى بلاد المغرب عام خمسين و سبعمائة فوجدته قد استولى عليه الخراب بحيث لا يمكن دخوله و لا الصعود إلى بابه . و كان الملك الناصر رحمه الله قد شرع فى بناء منار مثله بازائه فعاقه الموت عن إتمامه .

﴿ ذكر عَمُود السَّوارى ﴾

و من غرائب هذه المدينة عَمود الرُّخام الهائلُ الذى بخارجها المسمَّى عندهم بعمود السَّوَارى . و هو متوسّط فى غابة نخل و قد امتاز عن شجراتها سُمُوًّا و ارتفاعا و هو قطعة و احدة مُحْكَمَة النَّحْتِ قد أُقيم على قواعد حجارة مُرَبَّعة أمثال الدّكاكين العظيمة . و لا تعرف كيفية وضعه هنالك و لا يُتحقَّق مَنْ وَضَعَه . قال ابْنُ جُزَىٍّ : أخبَرَنى بعض أشياخى الرّحالين أن أحد الرُّماة بالاسكندرية صعد إلى أعلى ذلك العمود ومعه قوسه و كنانته و استقر هنالك و شاع خبره فاجتمع الجمُّ الغفير لمشاهدته و طال العجب منه وخَفِيَ على النَّاس وجهُ احتياله . و أظنّه كان خائفا أو طالبَ حاجة فانتج له فعله الوصولَ

إلى قصده . لغرابه ما أتى به . و كيفية احتياله فى صعوده أنه رمى بنُشَّابَةٍ قد عقد فوقها خيطًا طويلا و عقد بطرف الخيط حبلا و ثيقا فتجاوزت النشابة أعلى العمود معترضةً عليه و وقعت من الجهة المُوَازية للرامى فصار الخيط معترضا على أعلى العمود فجذبه حتى توسط الحبل أعلى العمود مكان الخيط فأوثقه من إحدى الجهتين فى الأرض و تعلق به صاعدا من الجهة الأخرى و استقرّ بأعلاه و جَذَبَ الحبلَ و استصحب من احتماله فلم يهتد الناس لحيلته و عجبوا من شأنه .

﴿ ذكرُ المسجد المُقَدَّسِ بالقُدْس ﴾

هو من المساجد العجيبة الرائقة الفائقة الحُسْنِ . يقال : إنه ليس على وجه الأرض مسجد أكبر منه و إن طوله من شرق إلى غرب سبعمائة و ثنتان و خمسون ذراعا بالذراع المالكية و عرضه من القبلة إلى الجوف أربعمائة ذراع و خمس و ثلاثون ذراعا . وله أبواب كثيرة فى جهاته الثلاث . و أما الجهة القِبْلِيَّة منه فلا أعلم بها إلا بابا واحدا و هو الذى يدخل منه الامام . و المسجد كلّه فَضاء غير مُسَقَّف إلاّ المسجد الأقصى فهو مسقَّف فى النهاية من إحكام العمل و إتقان الصنعة مُمَوَّهٌ بالذهب و الأَصْبِغَةِ الرائقة و فى المسجد مواضع سواه مسقَّفة .

﴿ ذكر قُبَّةِ الصَّخرة ﴾

وهي من أعجب المبانى وأتقنها وأغربها شكلا قد توفّر حظُّها من المحاسن وأخذت من كل بديعة بطرف وهى قائمة على نَشَزٍ فى وسط المسجد يصعد إليها فى دَرَجِ رُخام ولها أربعة أبواب. والدائر بها مفروش بالرخام أيضا محكم الصنعة وكذلك داخلُها. وفى ظاهرها وباطنها من أنواع الزّوَاقَة ورائق الصنعة ما يُعجز الواصف وأكثر ذلك مُغَشًّى بالذهب فهى تتلألأ نورا وتلمع لمعانَ البرق. يَحار بصر متأمّلها فى محاسنها ويقصر لسان رائيها عن تمثيلها وفى وَسَط القبة الصخرة الكريمة التى جاء ذكرها فى الآثار فانّ النبىّ صلى الله عليه وسلم عرج منها إلى السماء وهى صخرة صمَّاء ارتفاعُها نحوُ قامة وتحتها مغارة فى مقدار بيت صغير ارتفاعها نحو قامة أيضا يُنزل إليها على دَرَج وهنالك شكل محراب وعلى الصخرة شُبَّاكان اثنان محكما العمل يغلقان عليها أحدهما وهو الذى يلى الصخرة من حديد بديع الصنعة والثانى من خشب وفى القبَّة دَرَقة كبيرة من حديد معلقة هنالك والناس يزعمون أنها درقة حمزة بن عبد المطَّلب رضى الله عنه.

﴿ ذكر جامع دمشق المعروف بجامع بنى أُمَيَّةَ ﴾

وهو أعظم مساجد الدنيا احتِفالا واتقنها صناعة وأبدعها حسنا وبَهْجَة وكمالا ولا يعلم له نظير ولا يوجد له شبيه وكان

الذى تَوَلّى بناءه و إتقانه أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مَرْوَانَ .
و وَجّه إلى ملك الرُّوم بقُسْطَنطِينِيَّةَ يأمره أن يبعث إليه الصُّنَّاع
فبعث إليه اثنى عشر ألف صانع و كان موضع المسجد كَنيسة فلما
افتتح المسلمون دمشق دخل خالد بن الوليد رضى الله عنه من إحدى
جهاتها بالسيف فانتهى إلى نصف الكنيسة و دخل أبو عبيدة بن
الجراح رضى الله عنه من الجهة الغربية صُلْحا فانتهى إلى نصف
الكنيسة فصنع المسلمون من نصف الكنيسة الذى دخلوه عَنْوَةً مسجدا
و بقى النصف الذى صالحوا كنيسة فلما عزم الوليد على زيادة الكنيسة
فى المسجد طلب من الروم أن يبيعوا منه كنيستهم تلك بما شاءوا
من عِوَض فأبوا عليه فانتزعها من أيديهم و كانوا يزعمون أن الذى
يهدمها يُجَنُّ فذكروا ذلك للوليد فقال أَنا أَوّل من يجن فى سبيل الله
و أَخذ الفَأْسَ و جعل يهدم بنفسه فلما رأى المسلمون ذلك تتابعوا
على الهدم و أَكْذَبَ الله زَعْمَ الروم . و زيّن هذا المسجد بفصوص
الذهب المعروفة بالفُسَيْفِسَاء تُخالطها أنواع الأصبغة الغريبة الحُسن .
و ذَرْع المسجد فى الطول من الشرق إلى الغرب مِائَتا خَطوة و هى
ثلثمائة ذراع و عرضُه من القبلة إلى الجوف مائة و خمس و ثلثون
خطوة و هى مائتا ذراع . وعدد شَمَسات الزُّجاج الملوّنة التى فيه
أَربع و سبعون و بَلاطاته ثلاثة مستطيلة من شرق إلى غرب سَعَة

كل بلاط منها ثمان عشرة خطوة . و قد قامت على أربع و خمسين سارية و ثمانى أرْجل جِصّيّة تتخلّلها و ستّ أرجل مرخّمة مرصعة بالرخام الملوّن قد صوّر فيها أشكال محاريب و سواها و هى تُقِلّ قبّة الرصاص التى أمام المحراب المسمّاة بقبة النسر كأنهم شبّهوا المسجد نسرا طائرا و القبةَ رأسه و هى من أعجب مَبانى الدنيا و من أىّ جهة استقبلتَ المدينة بَدَتْ لك قبة النسر ذاهبةً فى الهواء مُنِيفة على جميع مبانى البلد . و تُدِير بالصَّحْن بلاطات ثلاثة من جهاته الشرقية و الغربية و الجوفيّة . سَعَةُ كل بلاط منها عشر خُطىً و بها من السَّوارى ثلاث و ثلاثون و من الارجل أربع عشرة . و سعة الصحن مائة ذراع و هو من أجمل المناظر و أَتَمّها حُسنا وبها يجتمع أَهل المدينة بالعَشَايا فِمنْ قارئٍ و محدّث و ذاهب و يكون انصرافهم بعد العشاء الأخيرة و إِذا لَقِىَ أَحد كبرائهم من الفقهاء و سِواهم صاحبا له أَسرع كل منهما نحو صاحبه و حطّ رأسه و فى هذا الصحن ثلاث من القباب إِحداها فى غربيّه وهى أَكبرها و تُسمَّى قبة عائشة أُمّ المؤمنين و هى قائمة على ثمان سوارِىَ من الرخام مزخرفةٍ بالفصوص و الأصبِغة الملوّنة مُسقّفة بالرصاص يقال إِن مال الجامع كان يُختزن بها . و ذُكر لى أَن فوائد مُستَغَلَّات الجامع و مَجَابِيهُ نحو خمسة و عشرين أَلف دينار ذهبًا فى كل سنة . و القبة

الثانية من شَرْقِيّ الصحن على هيئة الأخرى إلا أَنها أَصغر منها قائمة على ثمان من سـوارى الرخام وتسـمى قبة زين العابدين . والقبة الثالثة فى وسط الصحن وهى صغيرة مُثَمَّنة من رخام عجيب محكم الالصاق قائمة على أربع سوار من الرخام الناصع وتحتها شُبَّاكٌ حديدٍ فى وَسَطه أُنْبوبُ نُحاسٍ يَمُجُّ المـاء إلى عُلُوٍّ فيرتفع ثم يَنْثَنِي كأنّه قَضيبُ لُجَيْنٍ . وهم يُسمُّونه قَفَصَ الماء ويَسْتحسن الناس وضع أفواههم فيه للشرب وفى الجانب الشرقىّ من الصحن باب يُفضِى إلى مسجد بديع الوضع يُسمَّى مَشْهَدَ على بن أبى طالب رضى الله عنه . ويقابله من الجهة الغربيَّة حيث يلتقى البلاطان الغربىّ والجوفىّ موضع يقال إن عائشة رضى الله عنها سَمَّعَت الحديث هنالك . وفى قبلة المسجد المقصورة العُظْمى التى يَؤُمّ فيها إمام الشافعيَّة . وفى الركن الشرقىّ منها إزَاءَ المحراب خِزَانة كبيرة فيها المصحف الكريم الذى وَجَّهه أمير المؤمنين عُثمَانُ بن عفَّان رضى الله عنه إلى الشام . وتُفتحُ تلك الخزانة كلَ يوم جمعةٍ بعد الصلاة فيزدحم الناس على لَثْم ذلك المصحف الكريم . وهنالك يحلّف الناس غُرَمَائهم ومَنِ ادَّعَوْا عليه شيأ . وعن يسار المقصورة محراب الصحابة ويذكر أهل التاريخ أنه أوّل محراب وضع فى الاسلام وفيه يؤمّ إمام المالكيَّة . وعن يمين المقصورة محراب الْحَنَفِيَّة وفيه يؤم إمامهم ويليه محراب الحَنَابِلَة وفيه يؤم إمامـهم . ولهذا

المسجد ثلاثُ صوامعَ . إحداها بشرقيه وهى من بناء الرُوم وبابها داخلَ المسجد وبأسفلها مَطْهَرَةٌ وبيوت للوضوء يغتسل فيها المتكفون والملترمون للمسجد ويتوضّؤون . والصومعة الثانية بغربيّه وهى أيضا من بناء الروم . والصومعة الثالثة بشماله وهى من بناء المسلمين وعدد المؤذّنين به سبعون مؤذنا .

﴿ ذكر المسجد الحرام شرّفه الله وكرّمه ﴾

والمسجد الحرام فى وسَط مكّة وهو متّسع السَّاحة طوله من شرقٍ إلى غرب أزْيد من أربعمائة ذراع . حكى ذلك الأزْرَقِىُّ . وعرضه يقرب من ذلك . والكعبة العُظمى فى وسطه ومنظره بديع ومرآه جميل لا يَتعَاطى اللسانُ وصفَ بدائعه . ولا يُحيط الواصفُ بحسن كماله وارتفاع حِيطَانه نحو عشرين ذراعا . وسقفُه على أَعمدة طِوَال مُصْطَفَّةٍ ثلاثة صفوف بأتقنِ صناعة وأجملها وقد انتظمت بلاطاته الثلاثة انتظاما عجيبا كأنها بلاط واحد وعدد سواريه الرخامية أربعمائة واحدى وتسعون سارية ما عدا الجصِّيَّةَ التى فى دار النَّدْوَةِ المَزيدَةِ فى الحرم وهى داخلة فى البلاط الآخذ فى الشمال ويقابلها المَقَامُ مع الرُّكْنِ العراقىّ . وفضاؤها متصل يدخل من هذا البلاط اليه ويتصل بجدار هذا البلاط مَساطبُ تحتَ قِسِىٍّ حنَايَا يجلس بها المُقْرِؤُونَ والنَسَّاخون والخياطون وفى جدار البلاط الذى يقابله مساطب تماثلها وسائرُ البلاطات تحت

جُدْرَانِها مساطب بدون حَنَايَاً وعند باب إبراهيم مدخل من البلاط الغربى فيه سوار جصِّيَّة . و للخليفة المهدىّ محمد بن الخليفة أبى جعفر المنصور رضى الله عنهما آثار كريمة فى توسيع المسجد الحرام و إحكام بنائه . و فى أعلى جِدار البلاط الغربى مكتوب : أَمَرَ عبدالله محمد المهدىّ أميرُ المؤمنين أَصلحه الله بتوسعة المسجد الحرام لِحَاجّ بيت الله و عِمارتِه فى سنة سبع و ستين و مائة .

﴾ ذكر الكعبة المعظَّمة الشريفة زادها الله تعظيما و تكريما ﴿

و الكعبة ماثلة فى وسط المسجد وهى بِنْيَةٌ مربّعة ارتفاعها فى الهواء من الجهات الثلاث ثمان وعشرون ذراعا و من الجهة الرابعة التى بين الحَجَرِ الأسود و الركن اليَمَانِىّ تسع و عشرون ذراعا . و عرض صَفْحَتِها التى من الركن العراقى إلى الحجر الأسود أربعة و خمسون شِبْرًا و كذلك عرض الصفحة التى تقابلها من الركن اليمانى إلى الركن الشامىّ وعرض صفحتها التى من الركن العراقى إلى الركن الشامىّ من داخل الحِجْرِ ثمانية و أربعون شبرا و كذلك عرض الصفحة التى تقابلها من الركن الشامى إلى الركن العراقى . و أَما خارجُ الحِجْر فانه مائة و عشرون شبرا . و الطواف إنما هو خارجَ الحِجْرِ . و بناءها با لحجارة الصُّمّ السُّمْرِ قد أُلصِقت بأبدع الالصاق و أحكمه وأشدّه فلا تغيرها الأيام و لا تؤثر فيها الأزمان . و باب الكعبة

المعظمة فى الصفح الذي بين الحجر الأسود و الركن العراقى و بينه و بين الحجر الأسود عشرة أشبار . وذلك الموضع هو المسمىّ بالمُلْتَزِم حيثُ يستجاب الدعاء و ارتفاع الباب عن الأرض أحد عشر شبرا و نصف شبر وسعته ثمانية أشبار وطوله ثلاثة عشر شبرا و عرض الحائط الذى ينطوى عليه خمسة أشبار و هو مُصَفَّح بصفائح الفضَّة بديعُ الصنعة وعُضَادَتَاه وعَتَبَتُه العُلْيا مصفحات بالفضَّة وله نَقَّارَتَان كبيرتان من فضَّة عليهما قُفْل و يُفتح الباب الكريم فى كل يوم جمعة بعد الصلاة و يفتح فى يوم مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما . ورَسْمُهُم فى فتحه أن يضعوا كُرْسِيًّا شِبْهَ المنبر له دَرَجٌ و قوائم خَشَبٍ لها أربع بكَرَاتٍ يجرى الكُرْسِىُّ عليها و يلصقونه إلى جدار الكعبة الشريفة فيكون درجه الاعلى متصلا بالعتبة الكريمة ثم يصعد كبير الشَيْبِيِّينَ و بيده المفتاح الكريم ومعه السَدَنَةُ فيُمسكون السِتْرَ المُسْبَلَ على باب الكَعْبَة المسمَّى بالبُرْقُع بخلال ما يفتح رئيسهم الباب فاذا فتحه قَبَّل العتبة الشريفة ودخل البيت وحدَه وسدّ الباب وأقام قدرَ ما يركع ركعتين ثم يدخل سائر الشَيْبِيِّينَ و يَسُدّون الباب أيضا و يركعون ثم يفتح الباب و يبادر الناس بالدخول و فى أثناء ذلك يقفون مستقبلين البابَ الكريم بأبصار خَاشِعة و قلوب ضارعة و أيْدٍ مبسوطة إلى الله تعالى فاذا فُتح كبّروا و نادَوْا : اللهمّ

اِفتح لنا أبواب رحمتك ومغفرتك يا أرحم الراحمين . وداخلُ الكعبة المشرفة مفروش بالرخام المُجزّع وحيطانه كذلك وله أعمدة ثلاثة طِوَال مُفرَطةُ الطُّول من خشب السَّاج بين كل عمود منها وبين الآخر أربع خُطىً وهى متوسطة فى الفضاء داخل الكعبة يقابل الأوسط منها نصف عرض الصفح الذى بين الركنين العراقىّ والشامىّ . وسُتور الكعبة الشريفة من الحرير الأسود مكتوبٌ فيها بالأبيض وهى تتلألأ عليها نوراً وإشراقاً وتُكسَى جميعُها من الأعلى إلى الأرض .

﴿ ذكر سَفَرى إلى مدينة بُلغَارَ ﴾

وكنت سمعت بمدينة بُلْغَارَ فأَرَدت التوجّه إليها لأرى ما ذكر عنها من انتهاء قِصَر الليل بها وقصر النهار أيضا فى عكس ذلك الفصل وكان بينها وبين محلّة السلطان مسيرة عشرٍ فطابت منه من يوصلنى إليها فبعث مَعِىَ من أوصلنى إليها وردّنى إليه . وصلتها فى رمضانَ فلما صلّينا المغرب أفطرنا وأُذّن بالعشاء فى أثناء إفطارنا فصلّيناها وصلينا التراويح والشَّفْعَ والوِتْرَ وطلع الفجر إثْرَ ذلك . وكذلك يقصُر النهار بها فى فصل قِصَرِه أيضا وأقمت بها ثلاثا .

﴿ ذكر أرض الظُّلمة ﴾

و كنت أَردت الدخولَ إلى أَرض الظلمة و الدخولُ إليها من بُلْغَارَ و بينهما أربعون يوما ثم أَضربت عن ذلك لعِظَم المؤونة فيه و قِلّةِ الجَدْوَى و السفر إليها لا يكون إلا فى عجلات صغار تجرّها كلاب كبار فان تلك المفازة فيها الجليد فلا يثبت قدم الآدَميّ و لا حافر الدّابّة فيها و الكلاب لها الأظفار فتثبت أَقدامها فى الجليد و لا يدخلها إلا الأقوياء من التجّار الذين يكون لأحدهم مائة عجلة أَو نحوها مُوقَرَةً بطعامه و شرابه و حطبه فانها لا شجر فيها و لا حجر و لا مدر و الدليل بتلك الأرض هو الكلب الذى قد سار فيها مرارا كثيرة و تنتهى قيمته إلى أَلف دينار و نحوها و تربط العربة إلى عنقه و يقرن معه ثلاثة من الكلاب و يكون هو المقدَّم و تتبعه سائر الكلاب بالعربات فاذا وقف وقفت و هذا الكلب لا يضربه صاحبه و لا ينهره.

﴿ ذكر مدينة القُسْطَنطِينِيَّة ﴾

و هى متناهية فى الكبر منقسمة بقسمين بينهما نهر عظيم المدّ و الجزر على شكل وَادِى سَلَا من بلاد المغرب و كانت عليه فيما تقدّم قنطرة مبنية فخربت و هو الآن يعبر فى القوارب و اسم هذا النهر أَبْسُمِى (بفتح الهمزة و إسكان الباء المُوَحَّدَة و ضم السين المهملة وكسر الميم و ياء مدٍّ) و أَحد القسمين من المدينة يسمى أَصْطَنْبُولَ

(بفتح الهمزة و إسكان الصاد و فتح الطاء المهملتين و سكون النون و ضم الباء الموحدة و واوِ مدٍّ و لام) و هو بالعُدوة الشرقية من النهر و فيه سكنى السلطان و أربابِ دولته و سائر الناس و أَسواقه و شوارعه مفروشة بالصُّفَاحِ متَّسعة و أَهل كل صناعة على حِدَة لا يشاركهم سواهم و على كل سوق أَبواب تسدّ عليه بالليل و أ كثر الصُنَّاع و الباعة بها النساء و المدينة فى سفح جبل داخل فى البحر نحوَ تسعة أَميال و عرضه مثل ذلك و أَ كثر و فى أَعلاه قلعة صغيرة و قصر السلطان و السورُ يُحيط بهذا الجبل و هو مانع لا سبيل لأحد إليه من جهة البحر و فيه نحو ثلاث عشرةَ قرية عامرة و الكنيسة العظمى هى فى وسط هذا القسم من المدينة و أَما القسم الثانى منها فيسمى الغَلَطَةَ (بغين معجمة و لام و طاء مهملة مفتوحة) و هو بالعُدوة الغربية من النهر شبيه برِبَاطِ الفَتْحِ فى قُرْبِهِ من النهر و هذا القسم خاص بنصارى الافرنج يسكنونه وهم أَصناف فمنهم الجَنَوِيُّونَ و البَنَادِقَةُ وأَهل رُومِيَةَ وأَهل إِفْرَانِسَةَ و حكمهم إلى مَلِك القسطنطينية يقدِّم عليهم منهم من يرتضونه و يسمُّونه القُمْصَ وعليهم وظيفة فى كل عام لملك القسطنطينية و ربما استعصوا عليه فيحاربهم حتى يصلح بينهم البَابَةُ وجميعهم أَهل تجارة و مرساهم من أَعظم المراسى رأيت به نحو مائة جِفَنٍ من القَرَاقِير و سواها من الكبار و أَما الصغار فلا تحصى كثرة و أَسواق هذا القسْم حسنة إلا أَن الأقذار غالبة عليها و يشقُّها نهر صغير قَذِر نجس و كنائسهم قذرة لا خير فيها .

﴿ ذكر جامع دِهْلى ﴾

وجامع دِهْلى كبير السَّاحة حيطانه وسقفه وفرشه كل ذلك من الحجارة البيض المنحوتة أبدع نحت ماصقة بالرصاص أتقن إلصاق ولا خشبة به أصلا وفيه ثلاث عشرة قبَّة من حجارة ومنبره أيضا من الحجر وله أربعة من الصحون وفى وسط الجامع العمود الهائل الذى لا يدرى من أى المعادن هو ذَكَرَ لى بعض حكمائهم أنه يسمى هَفْت جُوشْ (بفتح الهاء وسكون الفاء وتاء مَعْلُوَّةٍ وجيم مضمومة وآخره شين مُعجمة) ومعنى ذلك سبعة معادن وأنه مؤلف منها وقد جُلِّيَ من هذا العمود مقدار السبَّابة ولذلك المَجْلُوِّ منه بَريق عظيم ولا يؤثّر فيه الحديد وطوله ثلاثون ذراعا وأَدَرْنا به عِمامة فكان الذى أحاط بدائرته منها ثمانى أذرع وعند الباب الشرقى من أبواب المسجد صَنَمان كبيران جدًّا من النحاس مطروحان بالأرض قد أُلصقا بالحجارة ويَطَأُ عليهما كل داخل إلى المسجد أو خارج منه وكان موضعَ هذا المسجد بُدْخَانَةْ وهو بيت الأصنام فلما افْتُتِحَتْ جعل مسجدا وفى الصحن الشمالى من المسجد الصومعة التى لا نظير لها فى بلاد الاسلام وهى مبنية بالحجارة الحمر خلافا لحجارة سائر المسجد فانها بيض وحجارة الصومعة منقوشة وهى سامية الارتفاع وتَفَافِيحها من الذهب الخالص وسعة ممرها بحيث تصعد فيه الفِيَلَةُ . حدّثنى من أثق به

أَنه رأى الفِيلَ حين بنيت يصعد بالحجارة إلى أَعلاها و هى من بناء السلطان مُعزِّ الدين بن ناصر الدين بن السلطان غياث الدين و أَراد السلطان قطب الدين أَن يبنى بالصحن الغربى صومعة أَعظم منها فبنى مقدار الثُلُث منها و اُخْتُرِمَ دون تمامها و أَراد السلطان محمد إتمامها ثم ترك ذلك تشاءما . و هذه الصومعة من عجائب الدنيا فى ضخامتها و سعة ممرّها بحيث تصعدها ثلاثة من الفِيَلَةِ متقارنةً و هذا الثلث المبنى منها مساوٍ لارتفاع جميع الصومعة التى ذكرنا أَنها بالصحن الشمالى و صعدتها مرة فرأيت مُعْظَم دُور المدينة و عاينت الأسوار على ارتفاعها و سموّها منحطَّة . و ظهر لى الناس فى أَسفلها كأنهم الصبيان الصغار و يظهر لناظرها من أَسفلها أَن ارتفاعها ليس بذلك لعِظَم جِرْمِها و سعتها و كان السلطان قطب الدين أَراد أَن يبنى أَيضا مسجدا جامعا بِسيرَى المسمَّاة دار الخلافة فلم يتم منه غير الحائط القبلى و المحراب و بناءه بالحجارة البيض و السود و الحمر و الخضر ولو كمل لم يكن له مثل فى البلاد و أَراد السلطان محمد إتمامه و بعث عُرَفَاء البِنَاء ليقدّروا النفقة فيه فزعموا أَنه ينفق فى إتمامه خمسة و ثلاثون لَكاً فترك ذلك استكثارا له و أَخبرنى بعض خواصّه أَنه لم يتركه استكثارا لكنه تشاءم به لِمَا كان السلطان قطب الدين قد قُتل قبل تمامه .

٧٠

من كتابِ ألفِ ليلةٍ و ليلةٍ

حكاية خالد بن عبد الله القسْرِيّ مع الشابّ السارق.

و مما يحكى أنّ خالد بن عبد الله القَسْرِيَّ كان أمير البصرة فجاء إليه جماعة متعلقون بشابّ ذى جمالٍ باهرٍ، و أدب ظاهر، و عقل وافر، و هو حسن الصورة طيّب الرائحة، و عليه سكينة و وقار، فقدموه إلى خالد فسألهم عن قصَّته، فقالوا : هذا لصٌّ أصبناه البارحةَ فى منزلنا، فنظر إليه خالد فأَعجبه حُسْنُ هيئته و نظافتُه. فقال : خلُّوا عنه. ثم دنا منه، و سأَله عن قصته فقال : إن القومَ صادقون فيما قالوه و الأمر على ما ذكروا. فقال له خالد : ما حملك على ذلك و أنت فى هيئةٍ جميلةٍ و صورةٍ حسنةٍ. قال : حَمَلَنى على ذلك الطمعُ فى الدنيا و قضاء الله سبحانه و تعالى. فقال له خالد : ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ! أما كان لك فى كمالِ عقلك و حسنِ أدبك زاجر يزجرك عن السّرقة. قال : دع عنك هذا أيها الأمير! و امض إلى ما أمر الله تعالى به فذلك بما كسبتْ يدى، و ما الله بظلّام للعبيد. فسكت خالدٌ ساعةً يفكر فى أمر الفتى، ثم أدناه منه و قال له : إن اعتِرَافَك على رؤوس الأشهاد قد رابنى و أنا ما أَظنك سارقا، و لعلّ لك قصَّةً غير السرقةِ فأَخبرنى بها.

قال أَيها الأمير : لا يَقَعْ فى نفسك شئ سوى ما اعترفتُ به عندك وليس لى قصةٌ أَشرحُهَا إِلا أَنى دخلت دار هـؤلاء فَسَرَقْتُ ما أَمكننى ، فأَدركونى ، و أَخذوه منى و حملونى إِليك . فأَمر خالد بحبسه ، و أَمر مناديا ينادى بالبصرة : أَلا من أَحبّ أَن ينظر إِلى عقوبةِ فلانٍ اللصّ و قطع يده فليحضُرْ من الغَدَاةِ إِلى المحلّ الفلانىّ . فلما استقر الفتى فى الحبس و وضعوا فى رجليه الحديد تَنَفَّس الصُّعَدَاء و أَفاض العبرات . و أَنشد هذه الابيات :

هَدَّدَنى خالد بقَطع يدى إن لم أَبُح عِنْدَه بِقِصَّتِهَا
فقلت : هَيْهَاتَ أَنْ أَبُوحَ بِمَا تَضَمَّنَ القلبُ مِن مَحَبَّتِهَا !
قطعُ يَدِى بالذى اعترفت به أَهوَنُ لِلْقَلْبِ من فَضِيحَتها

فَسَمِعَ ذلك المُوَكَّلون به ، فأَتَوْا خالدا و أَخبروه بما حَصَلَ منه . فلمَّا جَنَّ الليلُ أَمَرَ باحضارِهِ عنده ، فلما حَضر استَنْطَقَهُ فرآهُ عاقلا أَديبا فَطِنًا ظريفًا لبيبًا . فأَمر له بطعامٍ ، فأَكل و تَحَدّث معه ساعةً ، ثم قال له خالدٌ قد علمت أَنّ لك قِصَّة غير السرقة فاذا كان الصَباحُ وحضَرَ الناس وحضر القاضى وسأَلك عن السرقة فأَنكِرْهَا واذكُر ما يدرء عنك حدّ القَطْعِ ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : » ادرَؤوا الحدود بالشُّبُهات « ثم أَمربه إِلى السجن (و أَدركَ شَهْرَزَادَ الصباحُ فسكتت عن الكلام المباح) .

(و فى ليلة اثنتين و أربعين و ثلاثمائة) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أنّ خالدًا بعد أن تحدث مع الشاب أمر به إلى السجن فمكث فيه لَيْلَتَهُ ، فلما أصبح الصباح حضر الناس ينظرون قطعَ يد الشاب ، و لم يَبْقَ أحد فى البصرة . ثم استدعى بالقضاة و أمر باحضار الفتى ، فأقبل يَحْجِلُ فى قيوده و لم يره أحد من الناس إلا بكى عليه ، و ارتفعت أصوات النساء بالنحيب ، فأمر القاضى بتسكيت النساء . ثم قال : إن هؤلاء القوم يزعمون أنك دخلت دارهم و سرقت مالهم فلعلك سرقت دون النصاب ؟ قال : بل سرقت نصابًا كاملًا . قال : لعلك شريك القوم فى شئ منه ؟ قال : بل هو جميعه لهم لا حق لى فيه . فغضب خالد ، و قام إليه بنفسه ، و ضربه على وجهه بالسوط و قال متمثلا بهذا البيت :

يريد المرء أن يُعْطَى مُناه و يأبى الله إلا ما يريدُ

ثم دعا بالجزار ليقطع يده فحضر و أخرج السكين و مدّ يده و وضع عليها السكين ، فبادرت جاريةٌ من وسط النساء عليها أطمارٌ وَسِخَةٌ فصرخت و رمت نفسها عليه ، ثم أسفرت عن وجه كأنه القمر ، و ارتفع فى الناس ضجّة عظيمة ، و كاد أن يقع بسبب ذلك فتنة طائرةُ الشَرَر ، ثم نادت تلك الجارية بأعلى صوتها ناشدتك الله أيها

الأمـير! لا تَعْجَـلْ بالقطـعِ حـتى تقرأ هذه الرقعة؛ ثم دفعت إليه رقعة ففتحها خالد وقرأها فاذا مكتوب فيها هذه الأبيات :

أَخالدُ هـذا مستهام مُتَيَّمٌ رمته لِحاظى عن قِسِىِّ الحمالق
فأصماه سهمُ اللحظ منّى لأنّه حليف جوًى من دائه غير فائقِ
أَقَرَّ بمـا لم يقـترفـه كأنّـه رأى ذاك خيرا من هتيكة عاشق
فمهلا عن الصبّ الكئيب فانّه كريم السجايا فى الوَرَى غير سارِقِ

فلما قرأ خالد الأبيات تنحّى، و انفرد عن الناس و أَحضر المرأة، ثم سألَها عن القصة فأخبرته بأَن هذا الفتى عاشق لها، و هى عاشقة له. و إنما أَراد زيارتها فتوجه إلى دار أَهلها و رمى حجرا فى الدار ليُعْلِمَها بمجيئه فسمع أَبوها و إِخوتها صوت الحجر فصعدوا إليه فلما أَحسّ بهم جمع قماش البيت كلّه، و أَراهم أَنّه سارق سترا على معشوقته. فلما رأوه عـلى هذه الحالة أَخذوه. و قالوا : هـذا سـارق، و أَتَوْابه إليك فاعترف بالسرقة و أَصرّ على ذلك حتى لا يفضحنى، و قد ارتكب هذه الأمور مِنْ رَمْىِ نفسِه بالسرقة لفرط مروءته، و كرم نفسه فقال خالد إِنّه لخليق بأَن يُسْعَفَ بمراده، ثم استدعى الفتى إليه فقبَّله بين عينيه، و أَمر باحضار أَبى الجارية، و قال له : يا شيخ إنا كُنَّا عزمنا على إِنفاذ الحـكم من هذا الفتى بالقطع، و لكنّ الله عزّ و جلّ قد حفظه من ذلك. و قد أَمرت له بعشرة آلاف درهم لبذله يده

حفظا لِعرضِـك و عرض بنتك و صيانتكما من العار . و قد أَمرت لابنتك بعشرة آلاف درهم حيث أَخبرتنى بحقيقة الأمر . و أَنا أَسأَلك أَن تأْذن لى فى تزويجها منه، فقال الشيخ : أَيها الأمير قد أَذنت لك فى ذلك. فحمد الله خالد و أَثنى عليه، و خطب خطبة حسنة، (و أَدرك شَهْرَزَادَ الصباح فسكتت عن الكلام المباح) .

٧١

من رسالة التوحيد للشيخ محمدٍ عبده

القرآن

جاءنا الخبرُ المتواترُ الذى لا تَتطَرَّقُ إِليه الرِّيبَةُ أَنَّ النبى صلى الله عليه و سلم كان فى نَشْأَته و أُمِّيَّتِهِ على الحال التى ذكرنا، و تواترت أَخبارُ الأُمَمِ كافَّةً على أَنّه جاء بكتابٍ قال : إِنّه أُنزِل عليه، و أَنّ ذلك الكتاب هو القُرآنُ المكتوب فى المصاحف، المحفوظ فى صدرِ مَنْ عُنِىَ بِحِفْظِه من المسلمين إلى اليومَ . كتابٌ حَوى من أَخبار الأُمم الماضيةِ ما فيه مُعْتَبَرٌ للأجيال الحاضرةِ و المستَقْبِلَةِ؛ نَقَّبَ على الصحيح منها، و غادَرَ الأباطيلَ التى أَلْحَقَتْها الأوهامُ بها، و نَبَّهَ على وجوه العبرةِ فيها . حكَى عن الأنبياء ما شاء اللهُ أَن يَقُصَّ علينا من سِيَرِهم، و ما كان بينهم و بين أُمَمِهم، و بَرَّأَهم ممّا رماهم به أَهلُ دينهم المعتقِدون برِسالاتهم .

آخَذَ العلماءَ من المِلَلِ المختلفةِ على ما أفسدوا من عقائدهم و ما خَلَطوا فى أَحكامهم، و ما حرّفوا بالتأويل فى كُتُبهم . و شَرَعَ للناس أَحكاما تنطبق على مصالحهم، و ظهرت الفائدة فى العمل بها و المحافظةِ عليها، و قام بها العدلُ، و انتظم بها شَمْلُ الجماعةِ ما كانت عندَ حدِّ ما قرّره، ثم عظُمت المَضَرَّةُ فى إهمالها و الانحرافِ عنها أَوالبُعْدِ بها عن الروح الذى أُودِعَتْهُ، ففاقت بذلك جميعَ الشرائع الوَضْعِيَّةِ كما يتبين للناظر فى شرائع الأمم . ثم جاء بعد ذلك بحِكَمٍ و مواعظَ و آدابٍ تَخْشَع لها القلوب، و تَهَشُّ لاستقبالها العقول، و تنصرف ورائها الهِمَمُ، انصرافَها فى السبيل الأَمَمِ .

نزل القرآن فى عصرٍ اتَّفَقَ الرواة و تواترت الأخبارُ على أنّه أَرْقَى الأعصار عند العرب و أَغْزَرُها مادَّةً فى الفصاحةِ، و أنّه الممتاز بين جميع ما تَقَدَّمَهُ بوَفْرَةِ رجال البلاغة، و فرسان الخطابة، و أَنْفَسُ ما كانت العربُ تتنافس فيه من ثمار العقل و نتائج الفِطْنَةِ و الذَّكاء هو الغَلَبُ فى القول، والسَّبْقُ إلى إصابةِ مكان الوِجْدانِ من القلوب، و مَقَرِّ الإذعان من العقول، و تَفانيهم فى المفاخرة بذلك ممّا لا يُحتاج إلى الإطالةِ فى بيانه .

تواتر الخبر كذلك بما كان منهم من الحرص على مُعارَضَة النبى صلى الله عليه و سلم، و التِماسِهم الوسائلَ قريبَها و بعيدَها لإبطال دَعْواهُ و تكذيبِه فى الإخبار عن الله، و إتيانِهم فى ذلك

على مَبْلَغِ استطاعتهم ، و كان فيهم الملوكُ الذين تَحمِلُهم عِزَّة الملك على مُعَانَدَتِهِ ، و الامراء الذين يدعوهم السلطانُ إلى مُنَاوَأَتِهِ ، و الخطباء و الشعراء و الكُتَّاب الذين يَشْمَخُون بأُنُوفِهِم عن مُتَابعَتِه . و قد اشتدّ جميع أُولئك فى مقاومته ، و انْهَالُوا بِقُوَاهم عليه استكبارا عن الخضوع ، وتمسَّكا بما كانوا عليه من أَديان آبائهم وَحميَّةً لعقائدهم وعقائدِ أَسلافهم . و هو مع ذلك يُخَطِّئُ آرائَهم ، و يُسَفِّهُ أَحْلامَهم ، و يحتقر أَصنامهم ، و يدعوهم إلى ما لم تَعْهَدْهُ أَيّامُهم و لم تَخْفِقْ لِمثله أَعْلَامُهم ، و لا حُجَّةَ له بين يَدَىْ ذلك كلِّه إلا تَحَدِّيهم بالاتيان بمثل أَقصَرِ سورةٍ من ذلك الكتاب أَو بعَشْرِ سُوَرٍ من مثله و كان فى استطاعتهم أَن يجمعوا إليه من العلماء و الفصحاء و البلغاء ما شاءوا ليأْتوا بشئٍ من مثل ما أَتى به ليُبْطلوا الحُجَّةَ و يُفْحِموا صاحبَ الدَّعوة .

جاءنا الخبر المتواتر أَنَّه مع طُولِ زَمَنِ التَّحدِّى ، ولَجَاجِ القوم فى التَعَدِّى ، أُصيبوُا بالعَجْزِ ، ورَجَعُوا بالخَيْبَةِ وَحقَّتْ للكتاب العزيز الكلمةُ العُلْيَا على كُلِّ كَلامٍ .